حركة الزمن فى النص الشعري

(نماذج من الشعر الحديث)

د . عبد المنعم أبو زيد عبد المنعم

مدرس الأدب الحديث

دار العلوم / الفيوم

جامعة القاهرة

المقدمة

الحمـــد الله رب العالمين الذي علم بالقلم ،علم الإنســـان مـــا لـــم يعلم والصلاة والسلام علي أشـــرف الخلـــق قاطبة ،محمد صلي الله عليه وسلم . وبعد ،

يقـــوم هـــذا البحث بدراسة الزمن من خـــلال مستويات ثلاثة؛ المستوى الأول يوضح علاقة الزمن الكوني بالإنسان أو النفس الشاعرة والمكـــان ،حيـــث تتعاون مفردات هذا الثالوث لإنـــتاج دلالات إنســـانية موغلـــة في الحزن والتشـــاؤم تصـــنع علاقات تضاد بين الشاعر والزمـــن إلا في القليل النادر، ويجسد المستوى الثاني أهم التغيرات الزمنية التي تحدث في بنية السرد الشعري من حيث الاسترجاع والاستباق والحذف والوقفات الوصفية ،ولاشك في أن هذا التغير يخلق نصاً مغيباً علي المتلقي أن يبحث وراءه من خلال البناء الكلي للنص ،وما يقيمه

من علاقات نصيه داخله وخارجه ، وينتقل
المستوى الثالث عن صورة الزمن في الشعر
الحديث مشيراً إلي علاقتها بصورته في
الشعر القديم ،ومدي التطور الذي أضيف إليها
بفعل مرور الزمن وتقلباته .

والواضح أن هذا الثالوث من المستويات
الزمنية الذي جسد فكرة الزمن في النص
الشعري ، قد عبر عن مراحله الأخرى ،
الزمن الموضوعى ، والزمن الذاتى ؛ إذ تمثل
الأول فيما أسماه البحث بالمفارقات الزمنية أو
الترتيب الزمنى ، وتحققت دلالة الثانى في
"الزمن الكونى " ،وتقنية الاسترجاع ؛ وبذلك لم
يبتعد البحث عن التقسيم المفترض للزمن الذي
يضمن التكافؤ والتكامل ؛ لطرح قراءة جيدة
واضحة الأبعاد والدلالات ، تقوم بدراسة
العناصر المكونة لبنية الزمن في النص ، وما
تقيمه من علاقات دلالية مع بقية البناء

الشـــعري؛ ومـــن ثم قدم البحث الرؤية الزمنية بشـــكل تقني يقترب من روح الفن ، ويبتعد – في الوقت نفسه – عن الإطار الفلسفي المجرد الذي لا صلة له بعملية الخلق الفني .

وقـــد قامت هذه القراءة علي مجموعة من شـــعراء التفعـــيلة مـــن أجـــيال مختلفة كنازك الملائكـــة ، وصلاح عبد الصبور ،وأحمد عبد المعطي حجازى، وأمل دنقل وغيرهم .

وأخيراً أرجو أن ينال البحث القبول

المستوى الأول :

- الزمن الكونى والإنسان

يمثل الزمن محورًا مهما في الشعر العربي المعاصر ، إذ يطرح الشاعر في إطاره هموم الإنسان وقلقه وتوتره ، وعلاقته بلحظة الماضي وتأثيرها عليه ، هذه اللحظة المهمة في حياته التي يتوقف عليها سلبية مواقفه أو إيجابيتها، كما أنه يبرز مخاوفة من المستقبل الذي يملي عليه رغائب قدلا يرضاها ، فيحدث التناقض والمفارقة باستمرار في حياته . وقد طرح الشعر على امتداد هذا العصر كثيراً من علاقة الإنسان بالزمن موضحا دلالاتها وبخاصة علاقته بالليل والنهار والشمس / الزمن الكونى وبين أبعاد التأثير والتأثر بينهما .

تقول نازك الملائكة في قصيدتها "في الريف":

بعد ليل من المسير طويل

ضاع فيه عمرى كلا لا وحزنًا

الصبـــــاح الجميل قد توَّج الود

يان بالضوء والجمال البهيج

وقطيع الأغنام في المرج تحت الظـ

ل والفجـــر والندي والنسيم

وليالي الحصاد والعمر السحر

ى والطيف والصدى والغيوم [1]

تطـــرح الشاعرة في هذه الأبيات علاقة الإنسان بالزمن الكوني؛ فتبرز أثر الليل عليها سـلباً وإيجابا ، ففيه ضاع العمر ما بين التعب والحـــزن وفـــيه كـــان الخير (ليالي الحصاد) والجمـــال والطبيعة الساحرة وهي تؤكد رؤيتها هذه في قولها :

هاهنا فتنة الطبيعة تنجي الـــ

كائن الحي من خيال الممات

---

١) نازك الملائكة : المجلد الأول ، " مأساة الحياة " دار العودة بيروت ، ١٩٨٦م صـــ٩١/٩٤

كما أن " الصباح " لديها جميل ، لأنه مصدر الضوء والجمال البهيج . ومن ثم نلحظ أن الإنتاج الدلالي للزمن / الليل تغير لدى الشاعرة تبعا لتغير الوضع النفسي لها .

ليل طويل = مصدر حزن + صباح جميل

← بهجة وضوء + ليل آخر ←

طبيعة جميلة ورؤية للعلاقة جديدة.

وتقول " نازك الملائكة " في قصيدة " ذكريات":

كان ليل ، كانت الأنجم لغزاً لا يحل

كان في روحي شيء صاغه الصمت الممل

كان في حسي تخدير ووعي مضمحل

كان في الليل جمود لا يطاق

كانت الظلمة أسرارا تراق

كنت وحدى لم يكن يتبع خطوى غير ظلي

أنا وحدي،أنا والليل الشتائي ...وظلي[1]

---

(١) نازك الملائكة / المجلد الثاني ديوان شظايا ورماد ، السابق ، صـ١٧٣

يتضـــح في هذه الأبيات ، ما في " الليل" من غربة ووحدة ، وأسرار لا حل لها ، وظلمة وانهيار للوعي الإنساني، كل هذا يصنع علاقة تناقض مع الإنسان ورؤيته الحالمه ، مما يجعله يكره لحظة الاندماج ، وتلك هي نظرة الشعراء للزمـــن الكونـــي / الليل، ثم تواصل في نهاية القصيدة تقديم رؤيتها فتقول :

كان في الجو الشتائي ارتعاش وجمود

جمد الظل من البـــــرد وغشاه الركود

ليلة يرجف في أجـــــوائها حتى الجليد

غيـــر دفء طـــــاف في قلبي الوجيع

فـــزت فيه من شـــتائى بـــــربيـــــع

وإذا في عمق قلبي فرحة الفجر المطل[1]

هنا تتواصل الرؤية وتتكامل وجهة النظر حول طبيعة الزمن / الليل وبخاصة ليل الشتاء

---

(١) نفسه : صـــ١٧٥

الـذي يزيد من آلام الأنا / المتكلم ويجعلها في حالة من الارتعاش والجمود والتلاشي الإنساني / الجسـدي والنفسـي ، ومـن ثم أنتجت هذه المسـافة الزمنـية وضعاً نفسيا سيئا لها، ظهر ذلك من خلال التمثيل اللغوي للكلمات الآتية : ارتعـاش، جمود، يرجف بالإضافة إلي المنتج الدلالـي للصـورة الفنـية المطـروحة فـي الأبـيات.وقد انتقل تأثير هذه العلاقة المتردية بين الأنا / المتكلم والليل الشتوي إلي " الظل" و " الجلـيد " وهمـا فـي طبيعـتهما لا يتأثران بالبرودة ولكن نتيجة قوتها وتمكنها من المحيط المكـانى فقـد اصـابهما التأثير فجمد الظل ، وارتجف الجليد، ثم يتغير إحساس الشاعرة إلي الضد بتغير "الزمن" من الشتاء إلي الربيع :

غيـر دفء طـاف في قلبي الوجيع
فـزت فيه من شـتائي بـربيـع

وإذا في عمق قلبي فرحة الفجر المطل[1]

لقد جاء الدفء إلي قلبها الوجيع ، وأحست بالفرحة بقدوم الربيع وبهلول فجر جديد ، هذا الإحساس الذي أحدث التغير، ربما جاءها لبرهه من الوقت وكأنه حلم طاف بها ، وتلاشي، وتلاشت أصداؤه محاولة منها لتغيير مسار العلاقة بينها وبين هذا الزمن الكوني الكئيب .

أتراه كان أكذوبة إحساسي المُضل[2]

وفي موضع آخر تصف المساء بأنه " كئيب" وفيه تتجمع الأشباح وتزداد الرهبة ، تقول :

أحسستها تهمس معني " مضي"

ملء المساء الكئيب

---

(١) نفسه : صـ١٧٥

(٢) نفسه : صـ١٧٦

وتلتقي أشبا حـــنا في المساء
باردة واجـــمـــة (١)

ومازالت تري الليل في صورته المظلمة، فتضـــفي علـــيه بعض خصائص الإنسان حتى تصـــل بصورته المرسومة في عقلها إلي ذهن المتلقـــي ، فتصفه بأنه رهيب وفيه سكون يلف الكون كله ، تقول:

نحن ضيعنا طريق الغد في الليل الرهيب
ونسينا راحـــة القلبين في الأمس القريب
أصغ لـــم يبق سوي همس الـــذنـــوب
في سكون الكون في الليل الـــرهيـــب(٢)

غـــير أنهـــا أخذته صديقا لها،يبكى معها ويحاورهـــا ويشـــاركها آلامهـــا فـــى ساعات التذكر،فيذهب عنها كآبة الصمت وسطوته :

---

(١) نفسه : صـــ١٨٥

(٢) ديوان قرارة الموجة ؛ المجلد الثانى : صـــ٣٨٠ ويراجع الديوان نفسه صـــ٣٩٨ حيث أكدت على ما ينتجه الليل من مخاوف وقلق ووحدة وضياع .

هذه ساعة التذكر،كاد الليل

يبكـــى معـــى ، يصـــغى مليًا

إنها ساعة التذكر والأجـ

راس تطوى كآبة الصمت طيًا[1]

وقد اهتم "صلاح عبد الصبور" بالزمن فى كـــل أعماله الشعرية والنثرية على حد سواء؛ ليمـــنح نفسه والمتلقى شكلا جديدًا للحياة يتضاد مع واقعه ويدلفه إلى واقع جديد ،وهذا ما يشير إلـــيه باشلار فى قوله : "إن التفكير فى الزمان معـــناه تأطـــير الحياة وهذا لا يعنى استخلاص مظهـــر خاص من الحياة ندركه بوضوح أكبر إذا عشناه عيشة أعمق،وهذا يحتم تقريباً القول باقتراح العيش بشكل آخر وتصحيح الحياة أولا واغنائها ثانيا " [2]

---

(١) ديوان قرارة الموجة : ص ٣٨١

(٢) غاســتون باشـــلار :جدلـــية الزمن ،ت خليل أحمد خليل،المؤســـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط١، ١٩٨٢م ، صـــ٩٨

يقـول " صـلاح عـبد الصبور " في قصيدته

[رحلة في الليل]

الليل يا صديقتي ينفضني بلا ضمير

ويطلق الظنون في فراشي الصغير

ويثقل الفؤاد بالسواد

ورحلة الضياع في بحر الحداد

فحين يقبل المساء يقفر الطريق والظلام محنة

الغريب

يهب ثلة الرفاق فض مجلس السمر

"إلى اللقاء" – وافترقنا – "تلتقي مساء غد"

" الرخ مات – فاحترس الشاه مات !"[1]

تقوم اللغة فى النص بتوضيح أثر الليل / الزمـن الكونى على الأنا / المتكلم إذ يصيبها بالخوف والقلق والهواجس دونما أدنى رحمة ، ويمـلأ الفـؤاد بالسـواد ، حتى يدلف به إلى

---

(١) صـلاح عبد الصبور : الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان الناس في بلادى دار العودة بيروت ، ١٩٨٦م صـ٧

الضـــياع وبحر من الحداد / الموت ، كما أنها تشـــير إلـــى أثـــره على الرفاق الذين يتفرقون بقدومـــه وتأثـــير الليل على الطريق واضح إذ يصيبه بالوحشة كما يجعل الغريب فى حالة من الـــتوهان بحلول ظلامهَ ، كل هذا التأثير الذي قولـــبه الشـــاعر فـــى صورة مأساويه بصنع صراعاً عنيفا بين الذات الشاعرة والزمن لتغيير الحياة، وهذا يؤكد ما طرحه " غاستون باشلار" فى مقولته السابقة وربما تكون فلسفة جديدة في مواجهـــة الزمـــن، يقول الدكتور " إبراهيم عبد الرحمـــن " عن هذه الفلسفة " "إنها فى الحقيقة تكشـــف عـــن أمريـــن: أحدهما هذا الاتجاه الفكـــري الـــذي يدل على أن الشعراء الجدد قد أخذوا يواجهون حياتهم مواجهة عقلية منتجة ، لا وجدانـــية غائمة وعاجزة عن رؤية الأشياء فـــي صـــورها الحقيقية وثانيهما تأكيد النظرة الواقعـــية فـــي معالجـــة مشـــكلات الحـــياة ،

والانطـــلاق إلي إصلاح ما أخذ يصيب حياتنا من خلل بسبب الأوهام [1]

ويقول"صلاح عبد الصبور " في قصيدته (أغنية خضراء):

إني أخشى هذا الليل

ينحدر من خلف الأفق النائي كالسيل [2]

يخاف الشاعر من الليل ويخشاه ، حتى لا يهـــدم علـــيه سعادته ومن ثم حاول أن يحتمي بحبه وبالعينين الخضراوين، قبل أن يجئ موعد قدومه .

وفي قصيدته " انتظار الليل والنهار " يوضح علاقـــة الزمن بالمكان والإنسان مبرزاً دلالات الخوف والدمار والموت .

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن ، اتجاهات النقد فى الأدب العربي الحديث ، دراسات تطبيقية ، مكتبة الشباب ، ١٩٩٣م، صـــ٢٩٢

(٢) صـــلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ديـــوان أقول لكم ، صـــ١٢٨

وهكذا مات النهار

ومال جنب الشمس واستدار

ثم تساقط المساء فوقنا

مثل جدار خرب وانهار

واعتنقت صحيفة السماء والغبراء

لطختا الجبين بالغبار

وانطفأت نوافذ المرضي وأنوار الجسور

تكومت حوائط الظلمة في مداخل البيوت

والمخازن

فانكفأت كئيبة مرصوصة كأنها مدافن

منهارة على بقايا جبل منهار [1]

لقد مات النهار وجاء الليل بوحشته وانهار

هو الآخر وعمت الظلمة المعنوية / الرمزية

---

(١) ديوان تأملات في زمن جريح : صـ ٣٠٢، ٣٠٣

هذه الرؤية التي تحملها القصيدة – والتي تتمثل في دلالة الليل على الموت والدمار ، وتداول النصر بين الليل والنهار –لها مصدر أنثروبولوجي أسطوري؛ وفي القدم ديانات قامت على عبادة إلهين : الليل والنهار.

والمادية كل مكان مداخل البيوت والمخازن حتى أصبحت كالمدافن الخربة المنهارة فوق جبل منهار هو الأخر ، هذه الصورة المظلمة لآثار الزمن ترتبط بمعاناة الإنسان والموت وهذا مفهوم قديم للزمن إذ ارتبط مفهوم الزمن في مختلف العصور لدى الجاهليين في شعرهم بالمعاناة والموت والألم "[1]

ومن ثم يمكن القول بأن " اقتران الزمان بمعنى المصير الفردي أو الجماعي من أبرز مفاهيم الزمان في الثقافات القديمة لدى مختلف الشعوب، وخاصة منها الشعوب السامية وهو - أيضا - من أبرز المفاهيم في الشعر العربي القديم، نظراً إلى موافقته لطريقة الشاعر في إدراك الزمان إدراكا ذاتياً لا سبيل فيه للتجريد، ونظراً لموافقته أيضا لمدى انشغال الشاعر

---

(١) أشار إلى هذا إبراهيم عبد الرحمن : اتجاهات النقد في الأدب العربي الحديث دراسات تطبيقية ، السابق صـ٢٨٥

الجاهلـــي بمصيره الشخصي في إطار طبيعي، مـــناوئ وفي إطار اجتماعي يقوم على التغلب والقـــوة وفـــي إطـــار ديني لا يوفر الطمأنينة والعزاء المقنع .[1]

وفي القصيدة نفسها يوضح الشاعر أثر الزمـــن صـــباحا وظهـــرًا ومساء علي المكان، ليجســـد من خلال هذه العلاقة الجدلية بين شقي الحـــدث مـــراحل العمـــر المختلفة ؛ الصبا ، الشباب، الكهولة ثم الموت ؛ وكيف أنها تنقضي بـــلا ثمـــن ، فيقول عن علاقة المكان بالصباح الزمن.

تنفست شوارع المدينة الرعناء

أصـــــــوات ضجة بلا إيقاع [2]

---

(١) على الغيضاوى : الإحساس بالزمان في الشعر العربي ، من الأصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة ، جامعة منوبة ، منشورات كلية الآداب ٢٠٠١، صـــ٢٥٤.

(٢) ديوان تأملات في زمن جريح : صـــ٣٠٤

ويقـول عـن علاقـته بالضحى ؛ مشيرا إلي مرحلتين تاليتين للصباح، وهما ؛مرحلة الصبا والشباب ؛

أواه يـــا نور الضحى

ملأت قلبي فزعا وترحا

بوركت وقدة الظهيرة (١)

ويقـول عـن علاقـته بآخر اليوم أو بمرحلة الكهولة ،ثم الموت :

وفي آخر اليوم تدب في عروق الشمس فترة الملال ....

سويعة ويهبط السواد حين ينقضي الأصيل

....

وهكذا تمضى الحياة بي

اعيش في انتظار (٢)

---

(١) ديوان تأملات في زمن حريح : صـــ٣٠٤

(٢) نفسه : صـــ٣٠٤/ ٣٠٥

ينمو التأثير في هذه الأبيات بنمو العلاقة بين المكان والزمن، فيتشكل المكان في كل فترة زمنية بشكل جديد ففي الصباح تتنفس الشوارع وتـــأخذ المدينة زخرفها وتضج باصوات الناس بـــلا ضابط، وفي وقدة الظهيرة تختفي البيوت والبشر، سوى مكعبات لون وحجر؛ وفي آخر اليوم تتحسر الشمس وتلقي نظرة الوداع ويهبط الســـواد وما بين الزمن والمكان تنتهي الحياة، وسيظل الإنسان في حالة من الترقب والانتظار. ومن ثم فالشاعر يجسد في هذه القصيدة مراحل العمر،فما قاله في صدر شبابه يختلف عما قاله في مراحل أخرى،ومن المقارنة نلاحظ صيغة البعد (هناك)،وأن الوقت محدد بـــ "ليلة" وليس: الليل. ... ولا شك أن هذه الحركة الزمنية قد عـــبرت عـــن الحياة في المكان واستقرأت ما بداخل الشخصية من تناقضات وتطلعات. ومن

ثم يتضح " أن الزمن بالنسبة للمكان ما هو إلا كمية الحركة فيه" (١)

ويـربط الشاعر بين المكان والزمن والحدث فيقول :

أما أخي " محمد نبيل "

فقد طوى جنازه شوارع المدينة

في ظهر يوم قائظ والناس مطرقون (٢)

الزمن منتصف النهار ، والشمس ساطعة، والحركة في المدينة على أشدها ، هذه الصورة القويـة التـي تبرز العلاقة بين الزمن والمكان تزداد قوة عندما ترتبط بحدث له طبيعة خاصة

---

(١) صـلاح صالح : قضايا المكان الروائي ، دار شرقيات القاهرة ، ط١، ١٩٩٧م، صـ١١٥ ويبرز علاقة المكان بالزمن في ثلاثة محاور :

ب- المكان ثابت والزمن متحرك

ب- المكان متحرك والزمن ثابت

ب- المكان متحرك والزمن متحرك

(٢) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ، ديوان :الناس في بلادي صـ٨٥

وهو حدث (الموت) وبخاصة بأن الفاعل الأول في تفعيل الحدث قد مات شاباً في رونقه،وتأتي عبارة "في ظهر يوم قائظ" لتقول بأنه ليس حتما أن يكتمل يوم الإنسان أو عمره .

ويقـــدم الشاعر صورة مغايرة لليل تقف علـــى النقـــيض من صورته السابقة يقول في قصيدته " أُغنية في ليل ".

الليل سكرنا وكأسنا

ألفاظنا التي تدار فيه نقلنا وبقلنا

الله لا يحرمني الليل ولا مرارته ...

الليل ثوبنا خباؤنا

رتبتنا شارتنا التى بها يعرفنا أصحابنا (١)

لقـــد تغيرت صورة الليل في هذه الأبيات عماّ عهدناه فيما سبق ، كما تغير تأثيره السلبى علـــى الآنـــا / المتكلم ؛ فبدلاً من كونه مخيفا

---

(١) ديوان أحلام الفارس القديم: صـــــ ٢٠٠/ ٢٠٢

وطـــاردًا إلـــى كونـــه ستارًا وكأسا ودليلاً فيه يتجمع الرفاق ولا يفترقون .

وفي موضع آخر يتحول "الليل " عنده إلي مصفاة يقول.

ترقد أعضائي في ظل نجوم الليل الوهاجة والمنطفأة

تتآكلها الظلمة والأداء لتنحل صفاءوهيولى

أتمزق ريحا طيبة تحمل حبات الخصب المختبئة

تخفيها تحت سراويل العشاق (١)

يكمـــل الشاعر رؤيته غير المتشائمة لليل فـــيذكر أنها مصفاة تنقي الإنسان وأعضاءه بعد أن يتلاشي في ظلمته وكأنه بهذا يقوم بدورين ، دور التلاشي ثم الصفاء وهذا في حد ذاته تغير لصورة الليل واستخدام جديد لها .

---

(١) ديوان تأملات في زمن جريح : صـــ٣٢٥

يطـــرح " صلاح عبد الصبور " أهم السمات الإيجابـــية التي يتحلى بها الليل ،وتزيل عنه ما علق به من منتج سلبي:

الحمد لنعمته من أعطانا هذا الليل

صمت الأشياء وسادتنا

والظلمة فوق مناكبنا

ستر وغطاء (١)

يؤكـــد الشاعر على ما يختزله الليل من رؤى إيجابـــية، تشير إلي آدمية الإنسان، وتقيه مـــن شرور كثيرة، ومن ثم تخلق له واقعا نفسيا مغايـــراً لمثيلة الذي تخلّق بفعل الرؤى السلبية، كالظلمـــة التـــي تستر وتغطي، والصمت الذي يضفى الهدوء والراحة على كل الموجودات.

ويقـــول "صلاح عبد الصبور "في قصيدة "عيد الميلاد لسنة ١٩٥٤"

---

(١) نفسه : صـــ٢٩٨

يا ليل،يا راحي ومصباحي وأفراحي ،وكني
أبعد رماح النور عني![1]

تـــزداد في هذه الأبيات الصفات الإيجابية لليل الشاعر فعلاوة على كونه غطاء ومصفاة ، ومنـــتجاً للهـــدوء بصمته فهو راحة ومصباح وفـــرح ،ومـــن ثم يطلب منه الشاعر أن يبعد رماح النور عنه .

والليـــل عـــند "أمـــل دنقل" لا يمثل هذه التناقضات والإسقاطات الإيجابية والسلبية التي مـــثلها عـــند صـــلاح عبد الصبور ،فهو عند شـــاعرنا هذا لا يعني أكثر من القلق والانتظار يقول :

والآن ها أنا
أظل طول الليل لا يذوق جفني وسنا
أنظر في ساعتي الملقاة إلى جواري
حتى تجئ .....

---

(١) ديوان الناس في بلادي :ص ٤٠

وحين يأتي الصباح – في المذياع – بالبشائر
أزيح عن نافذتي الستار فلا أراك .[1]

تطـــرح الأبـــيات دلالة "الليل" من وجهة نظـــر الشاعر فهو لا يمثل إلاّ لحظة انتظار ، يظـــل الإنســـان خلالها مستيقظا ، يهرب منه النوم، وتأكيداً لهذه الدلالة اعتمد الشاعر على لفظة (ساعة) الملقاة بجوار الأنا المتكلم ويأتي "الصـــباح"/زمن كوني آخر برؤى متضادة إذ تنطلق البشائر ويسرى النور فى كل مكان وقد اهـــتم "أمـــل دنقل" في أعماله الشعرية بإبراز العلاقة الوثيقة بين المكان والزمن مبرزاً تأثير الزمـــن على المكان وتأثر الأخير به،ورد فعل الشخصية / الأنا المتكلم تجاه هذه العلاقة؛ يقول في قصيدته " إجازة فوق شاطئ البحر"

أغسطس

---

(١) أمل دنقل :الأعمال الكاملة، ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" الهيئة العامة لقصور الثقافة ،١٩٩٨ ، ص ١١٥

الإسكندرية

واليود ينشع فى رئتين

يسد مسامهما الربو .. والأتربة !

طفولة "مايو" تشيخ

وفي الصباح ترفع راياتنا البيض للبحر

مستسلمين

لينخرنا الملح يمنح بشرتنا النمش البرصى

ونفرش أبسطة الظهر تجلس فوق الرمال...

وفي الليل تخفض راياتنا

تنقض الهدنة الأبدية

نجرؤ أن نتساءل "هل نحن موتي "؟!...

صديقي الذي غاص في البحر ...مات !

فحنطته ...

(..واحتفظت بأسنانه

كل يوم إذا طلع الصبح آخذ واحدة

اقذف الشمس ذات المحيا الجميل بها ..[1]

يجمع هذا النص بين عناصر القصة من حيث الزمن والمكان والشخصية والحدث المثير للشجن والحوار والتناص كل هذه العناصر تجمعت في النص لتوحي بمعاناة الإنسان وأزمته حيا وميتاً في هذا العصر ؛يبدأ الشاعر القصيدة بالزمن وهو" أغسطس "الذي يتسم بظروف مناخية خاصة لها تأثيرها على الإنسان والمكان/الإسكندرية ثم تتحدث الأنا /المتكلم /الشخصية عن يوم من أيامها في هذا الزمن المكاني ففي الصباح تذهب إلي البحر ليمنحها بعض صفاته، وفي الظهر تفترش الرمل وتستقرئ ذكرياتها الحزينة، وفي الليل تتلاشى أحداث الصباح والظهيرة وتدخل في دوامة جديدة.وفي أثناء هذه الرحلة الزمانية /

---

(١) ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" :من ص ١٥١ إلى ١٥٣

المكانـــية يدلف الشاعر بمتلقيه في خضم حدث مثـــير ومخـــيف فـــي الوقت نفسه وهو موت صديقه الذي غاص في البحر والذي لم يجد له في المدينة مكانا لدفنه ، هذا ما زاد مشاعر الحـــزن لديـــه؛ فالمديـــنة قد ضاقت بالأحياء والأموات معاً

ومـــن خلال هذا الاستقراء الفني للنماذج المطـــروحة مـــن شـــعر "أمل دنقل" نلحظ أنها تصدر عن تطلعين فنيين ؛محاولة تعميق الحسّ الواقعي [العناية بالتفاصيل المادية]- والعناية بالعنصر السردي (الحكائ)

ويهـــتم "حامد طاهر " – كثيراً بالمكان والزمن مبرزاً أوجه التأثير والتأثر بينهما .

وبخاصة في ديوانه "عاشق القاهرة" يقول في قصيدته ليل وفجر وغروب " غروب :

أبطأ الجدول سيره

وتلوت في المكان

نسمة ،دافئة ،محتضرة !

كرة الشمس وراء الأبنية [1]

في فترة الغروب يأخذ المكان وضعًا مخالفا لما كان عليه إذ تسرى فيه نسمة دافئة تقترب علي الانـــتهاء وتختفي الشمس علي استحياء ،ويلمم أهل المكان أشياءهم للرحيل إلي بيوتهم في هذه اللحظة كما يقول :

طوي الدرب سكون سرمدي

لمست فيه جبين الأرض أهداب السماء [2]

ليل :

أغلق الأبواب عمال المقاهي

وخلا الشارع ...إلا من سعال العائدين

نبحت بعض الكلاب

ومضى الشرطي من درب إلي درب يدخن

---

(١) حامد طاهر :عاشق القاهرة ،١٩٩٢ ص ٣٥

(٢) نفسه : صـــ٣٦

صارت الظلمة أدكن [1]

ولا شك أن الليل يضفي علي المدينة شكلا مغايراً وبخاصة ما بعد منتصفه ،إذ تغلق المقاهي ،وتخلو الشوارع من المارة ولا يبقى منها إلاّ نباح الكلاب ،وعواء القطط والشرطي.

الفجر : الرطوبة

ذوب عشب الدخان

تملأ الصدر بأنفاس رطيبة

وعلى الأسطح أصداء الأقران

وبقايا النوم في بعض العيون

بائع الألبان جاء...

وعلا صوت الأغاني

فتحت أقفالها بعض المحلات الصغيرة

وبدت من آخر الدرب فتاة بضفيرة وعلي الصدر كتاب [2]

---

(١) نفسه صـ ٣٦، ٣٧

(٢) نفسه : صـ٣٧ /٣٨

يحاول الشاعر أن يستقرئ بواقعية شديدة ما يحدث في فترة الصباح حيث الرطوبة، وخطى الجند إلى أماكنهم ، والآذان، وبائع الألبان ، وصوت الأغاني ، واستعداد المحلات لفتح أبوابها ،وتلميذة علي صدرها كتاب تذهب به إلى المدرسة ، لا شك إن استقراء ما يحدث في المكان في فترات الزمن المختلفة مع التوغل في الواقعية منح النص شعريته وجعله قريبا من ذهن المتلقي ومشاعره، أضف إلى هذا سهولة اللغة المستخدمة للتعبير عن العلاقات التي يطرحها النص ،والتي أضافت مزيداً من الجمال إليه . فالشعرية في كل هذا ليست إلا استخدام اللغة في النص ذلك الاستخدام الذي تفرضه -من جهة- طبيعته ومرماه وآلته ولا يعارض بل يساير النظر إلي

اللغـــة ـمـــن جهة ثانية ـعلي أنها الأداة التي تقف وراء العمل الإنساني برمته .."(١)

وفي قصيدته "النيل في القاهرة "يطرح هذه العلاقة باقتراب شديد من الواقع وبرؤية جمالية لا تجعـــل المتلقي يذهب بعيداً بذهنه عن عالم النص ، يقول :

-يجئ كل ليله محطما من الترحال

كأنه "أبو العيال "

الخبز في كفيه

والهموم في جبينه ....

لكنه قبل بزوغ الفجر

يرتدى ثيابه الزرقاء

وينحني مقبلا جبينها الوضاء ...

وحينما ينتصف الليل

ويصبح النسيم وشوشات

---

(١) قاسم المومنى في قراءة النص الموسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٢،صـــ٢٢

وينتهي الحديث بالتبات والنبات

ينزل من سمائه القمر

مغتسلاً في النيل

بلا هموم !(١)

يقدم الشاعر رؤيته هذه للعلاقة بين ثالوث النص السردي ؛ المكان والزمن والشخصية من خـــلال راو عليهم متخيل ، يضعه لتقديم السرد القصـــص /الشـــعري وتنظـــيم أجـــزائه يشير Reuter yves إلى وظائف الراوي في قوله: " هناك وظيفتان أساسيتان للراوي؛وهما وظيفة الســـرد أى أنـــه يسرد الأحداث ويكون عالماً وظيفـــته الإخـــراج أو الضبط(٢) أي أنه يقوم بتنظـــيم الخطـــاب الـــذي يدخـــل مـــنه كلام

---

(١) حامد طاهر :عاشق القاهرة ،ص١٤٦: ١٤٩

(٢) Reuteryves : introduction â l,analyse duroman , ee êd Dunad paris 1991, p62- 63

الشخصيات والراوي في هذه الأبيات راو عليم يقدم رؤيته من الخارج إذ يتتبع أحداث هذا الرجل الذي يشبه "أبو العيال" من البداية إلى النهاية مبرزًا كل العلاقات التي يقوم بها سواء مع المكان أو مع زوجته .ومن ثم تهدف هذه الرؤية إلى " تقرير حالة قائمة فارضة حضورها علي المادة النصية دون أن تتيح للرؤى الأخرى بالظهور إلا في نطاق ضيق "[1]

يستقرئ الراوي في بداية القصيدة طبيعة الرجل (أبو العيال) مبينا حالته النفسية والمادية وعلاقته بزوجته ،ثم يسرد مراحل حياته اليومية فقبل بزوغ الفجر يخرج من بيته مودعا زوجته إلى مكان عمله ،وحينما ينتصف الليل يتغير وجه المكان إذ يكتسي بضوء القمر وتتجمع فيه

---

(١) عبد الله إبراهيم :المتخيل السردي ،المركز الثقافي العربي بيروت ط١ ،١٩٩٠، ص ١٢٦

أفــواج مــن الناس ما بين غني وفقير ،ينعمون بطبيعته الخلابة .

ثم تتغير الرؤية في نهاية القصيدة ليسيطر عليها راو آخر محدود المعرفة يقدم الرؤية من الداخل ويتحدث عن نفسه أكثر مما يتحدث عن الآخرين،يقول :

كنت إذا طغي الأسى بأضلعي

أسير جنب الشط ناظراً في النيل

وكلما تأملت عيناي في مياهه الخضراء

انزاح همي الثقيل ....

واليوم ها أنا أعود (١)

يســرد الراوي تأثير اللحظة الراهنة عليه وأثــر المكــان فــي تغييرها إلى النقيض حيث أصابه الحزن الذي تلاشي بالاقتراب من المكان /النيل الذي ظل في مخيلته يسترجعه في غربته

---

(١) حامد طاهر :عاشق القاهرة ،السابق ص ١٥٠ /١٥١

مستأنسا، ومحتميا به من قسوة الزمن. ويقترب "حـامد طاهر "في تصويره لليل بما يحمله من سلبيات وإيجابيات من رؤية صلاح عبد الصبور فـي المـراحل الأخـيرة لتناولـه الزمـن الكونـي / اللـيل يقـول في قصيدته الأحضان العربية ":

أيها الزائر في الليل توقف

إنما الليل ستار !

وابتعد عن مدخل الدار قليلا

ليس في الليل مزار !(١)

فالليـل فـي هذه الأبيات ستار، وليس فيه مزار، فهو صديق للشخص يحجب عن الآخرين همومـه وآلامـه وأفـراحه ،وما رسمه "حامد طاهـر" في قصيدته هو "لوحة جدارية " لحركة الحياة طوال يوم في المدينة ،قسّمه حسب تراتب

---

(١) نفسه : ص ١٤٥

زمني يوشك أن يكون رصداً موضوعيا يقترب من خصائص وتفصيلات الواقعية .

ويشـــير "أحمد عبد المعطي حجازي" إلى الزمن الكوني في قصيدته "الرجل والقصيدة" فيقول :

أنكرتها ؟ أم أنكرتني ؟

والنهار مخافة

زمن يعرينا وذو الوجه الكئيب

تسيل بسمته علي شفتيه سُمًّا

والطريق ....

وأظل منتظراً لقاء الليل

تأتيني إذا دخل المساء

وهرها ريح من التذكار (١)

يقـــدم الشـــاعر في الأبيات صورة غريبة للنهار تتضاد مع طبيعته التي تتسم بالأمن والستر ولـــيس الخوف والعرى ،غير أنه يعطينا صورة

---

(١) أحمد عبد المعطي حجازي : أشجار الأسمنت ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١ ، ص ٨٦/٨٧

الليل الطبيعية ،حيث الانتظار والقلق والترقب، وتلاعب الذكريات بالأخيلة .

ولقد طرحت أبعاد العلاقة بين المكان والزمن في ديوان الشاعر "أشجار الأسمنت" ولكنها اختلفت قليلا إذ ركز في قصيدة مصابيح الشوارع " علي الشيء وهو أحد مكونات المكان وليس المكان نفسه ، يقول:

حين تأخذنا صحوة الشمس تنأى المصابيح

منسية

ثم تحجبنا غرف النوم ،نغشي نوافذها

فتلوح المصابيح عندئذ

تتقدم حيث يحل الظلام

وتأخذ وقفتها تحتنا متألقة زاهية (١)

تتأثر " المصابيح " وهي أحد الأشياء المكونة للمكان بالزمن فعند بزوغ الشمس

---

(١) نفسه :ص ٣٦

تصـــبح المصـــابيح منسية ،وفي الظلام أو عند دخول الليل ،تتألق وتظهر قيمتها فيشع ضوؤها وتكون مكانا مناسبا لراحة زوار الليل ،ثم يقول عنها عندما تتأثر بمطر الشتاء:

وهي في المطر المتدفق تركض عارية تستحُّم

وترخي جدائلها الشتائية

حزما من نصال مدببة

تتناسل في الريح مائلة

ثم ترتد فوق الحجارة شظايا

تفور علي برك الضوء هائجة ضاربة (١)

فـــي الأبـــيات صورة جيدة للمصابيح في فصل الشتاء عندما يتساقط عليها المطر الكثيف فتركض عارية تستحم ، وينزل منها الماء علي هيـــئة جدائـــل أو حـــزم نورانية ،تسقط علي الحجـــارة وكأنهـــا شظايا فتمنحنا منظراً طبيعيا رائعاً ،وتتبلور شعرية هذه الصور /اللوحة بفعل

---

(١) نفسه :ص ٣٧

احتوائها علي عناصر التشبيه والاستعارة ؛ في عبارة " تركض عارية تستحم " وعبارة :"ترخي جدائلهـــا "وكذلك في الاستخدام الجيد للأصوات العربية ذات الطبيعة الخاصة كحرف : "القاف، والضاد، والحاء، والجيم" فلاشك أن البنية الصوتية في هذه الصورة أدت دورها في توصيل الدلالة كاملـــة إلى ذهن المتلقى ؛ فالأصوات تمثل من دون شك المفتاح لشفرة النص وفضائه الشعري، خاصـــة أن الخطاب الشعري قائم علي الصوت به تبدأ القصيدة نسيج خيوطها الهلامية "[1]

ويصـــف الشاعر المصابيح وهي في نهاية النهار قرب الفجر فيقول :

والمصابيح في غبش الفجر

تنزف أضواءها الباقية

خرزا

---

(١) قاسم البريسم /منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري؛ الأفاق النظرية وواقعية التطبيق ط٢ ، ٢٠٠٠ ،ص٨٥

يتحدر متئدا

كدموع المهرج

مختلطا بالبياض

وبالحمرة القانية (١)

عند بزوغ الفجر تدلف المصابيح في مرحلة جديدة ،إذ يتواري ضوؤها رويداً رويداً كدموع المهرج المختلطة بالبياض والحمرة معا ،حتى تنتهي تماما ،وكل مرحلة من مراحل علاقة المصابيح بالزمن تمثل صورة جزئية تتكامل مع مثيلاتها لتكون القصيدة كلها صورة كلية ولا شك أن هذه القصيدة تنم عن موقف الشاعر الوجودي المتمرد الذي اتخذ من أعمدة النور قناعاً له.

ويقول محمد إبراهيم أبو سنة " في قصيدته " هواجس ليلية" :

هذا تمام الليل

---

(١) أحمد عبد المعطي حجازى : أشجار الأسمنت ص ٣٨

تتجه النجوم إلى مخادعها
تدندن أخر الأحزان
يحترق الكمان
في غرفة الذكري – وتزدهر الدموع
سور من الليل العميق
يحيط أزهار الشموع .[1]

يستقرئ الشاعر ما يحدث فى أخر الليل،إذ تختفي النجوم وتشتعل الذكريات ، وتزدهر الدموع ،وتأخذ الأحزان طريقها إلي القلب،ويبدو أن هذا المنتج الدلالي لليل واحد عند أكثر الشعراء فهو مكمن القلق والترقب والذكري

---

(١) محمد إبراهيم أبو سنة : تأملان في المدن الحجرية ؛ الهيئة العامة لكتاب ،٢٠٠١، ١٣١

المستوى الثاني :

- المفارقات الزمنية[1] .(الترتيب الزمني)

ونعني به التغيرات الزمنية التى تحدث في بنـــية النص الأدبي كالاسترجاع ، والاستباق ، الحذف ، والوقفة الوصفية والتباطؤ والخلاصة والمشـــهد ، وكـــل هذا التغير في البنية الزمنية للـــنص يكون ما يسمى بالمفارقة الزمنية التى " تعـــنى دراســـة الترتيـــب الزمنى في الخطاب الســـردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة وذلك لأن نظام القصة؛ هـــذا تشـــير إلـــيه الحكايـــة صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك . " (٢)

---

(١) الباحث استعار هذا المصطلح من جيرار جينت

(٢) جيرار جينت : خطاب الحكاية : بحث في المنهج ت محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلمي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م ، صـــ٤٧ .

أ- الماضي ولحظة الحاضر

تستدعى الأحداث الماضية في لحظة الحاضر(نقطة الصفر) التي تكون دافعًا قويا للاستدعاء بما تحمله من مشاعر حزينة وقلقة فتأتي الذكرى لتغيير الواقع النفسى للشخصية في هذه اللحظة يقول غاستون باشلار عن علاقة الماضي بالحاضر"سرعان ما توصلنا إلي الاعتراف بأن الذكري لا تعلم دون استناد جدلي إلي الحاضر؟فلا يمكن إحياء الماضي إلا بتقييده بموضوعة شعورية حاضر بالضرورة بكلام آخر، حتي نشعر أننا عشنا زمنا-وهو شعور غامض دائماً بشكل خاص- لا بد لنا من معاودة وضع ذكرياتنا شيمة الأحداث الفعلية في وسط من الأمل أو القلق في تماوج جدلي فلا

ذكريات بدون هذا الزلزال الزمني أو بدون هذا الشعور الحيوي [1]

ويقول تودورف عن هذه التقنية :أما الاسترجاعات وهي الأكثر تواترا فتروى لنا فيما بعد ماقد وقع من قبل فعادة يشفع في الروايات الكلاسيكية إدخال شخصية جديدة بقص لماضيها ،ويمكننا طبقا لتقاطع الاسترجاع مع القصة الرئيسة أو عدمه أن ننعته بباطني أو خارجي...."[2]

تقول نازك الملائكة في قصيدتها (أنا) :

أنا أخلق الماضي البعيد

من فتنة الأمل الرغيد

وأعودُ أدفنه أنا

لأصوغ لي أمساً جديدْا

---

(١) غاستون باشلار : جدلية الزمن،السابق ،ص٤٧

(٢) تودورف :الشعرية ،ت شكري المبخوت ورجاء بن سلامة دار توبقال للنشر المغرب ١٩٨٧ ص ٤٨

غدُهُ جليد [1]

تعبر الشاعرة عن فلسفة تداخل الزمن،إذ يتخلق الماضي بفعل الشخصية الآنا المتكلم في اللحظة الحاضرة التي تتسم بالأمل والحب والتي تصبح ماضياً وهكذا في حالة من الاستمرارية والتداخل بين الزمنين

في قصيدة طريق العودة تقول "نازك" الملائكة:

نعود إذن في طريق الإياب المرير

وكنا قطعناه منذ زمان قصير

وكنا نسميه دون ارتياب ،طريق الرواح

ونعبره في ارتياح

يمد لنا كل شيء نراه يدا

يكاد يعانقنا ويصب علينا غدا

دقائقه نسجتها المني

وكنا نسميه دون ارتياب طريق الأمل

---

(١) نازك الملائكة : الأعمال الكاملة المجلد الثاني ،ديوان شظايا ورماد ، السابق ص ١١٦

فما لشذاه أفل

وفي لحظة عاد يدعي طريق الملل [1]

في النص تقارن الآنا المتكلم بين لحظة الماضي والحاضر من خلال تفاعلها مع المكان/ الطريق، ذلك الذي رأته في الماضي يمتلئ بالخير والأمل والأماني الطيبة ،والذي عاد في الحاضر طريق الملل واليأس المطبق، هذا الاستدعاء كان دافعه التغير السلبي الذي مني به المكان والذي ترك دلالاته السيئة علي الواقع النفسي للشخصية .

ويمكن استقراء علاقة الماضي بالحاضر وأثر التغير الذي مني به المكان على الشخصية على النحو الآتي:

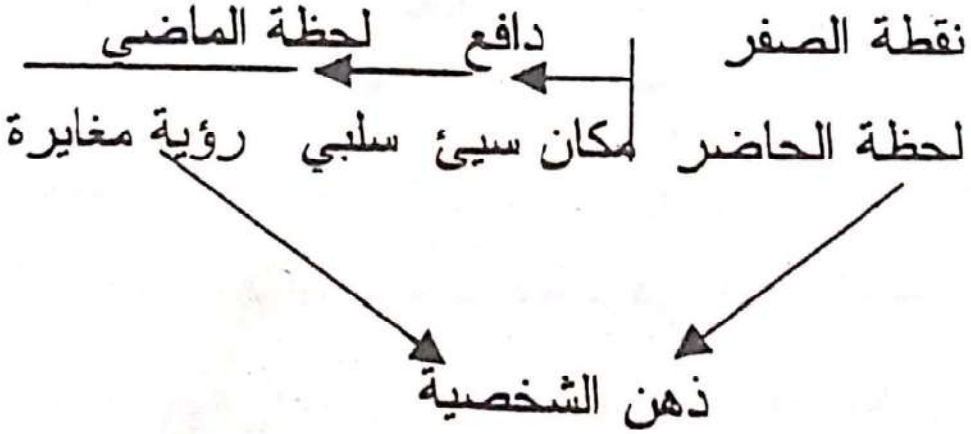

(١) ديوان قرارة الموجة :ص٢٥٤/ ٢٥٥

وفـــي موضـــع آخر يحاول الراوي العليم استرجاع ماضي الشخصية الرئيس في إحدى القصص الشعرية التي نسجتها الشاعرة ،يقول النص :

هنا لك كان يعيش غلام بعيد الخيال
إذا جاع يأكل ضوء النجوم ولون الجبال
ويشرب عطر الصنوبر والياسمين الخضل
ويملأ أفكاره من شذي الزنبق المنفعل
وكان غلاما غريب الرؤى غامض الذكريات
وكان يطارد عطر الربي وصدى الأغنيات
وكانت خلاصة أحلامه أن يصيد القمر
ويودعه قفصا من ندى وشذي وزهر
وكان يقضي المساء يحوك الشباك ويحلم[1]

يســـرد لنا الراوي العليم في هذه الأبيات حكاية غلام يعيش فوق سفح الجبل وهو مكان

---

(١) ديوان شجرة القمر : ٤٢٢/٤٢٣

لـــه طبيعة خاصة ،إذ ترسو الفراشات الجميلة علـــيه فـــي لحظـــة المساء ، والغلام له نفس الخصوصـــية إذ يـــتفاعل مع الطبيعة فيشرب عطـــر الصنوبر والياسمين وله رؤى غريبة ، وذكـــريات غامضـــة ، يطارد صدى الأغنيات ومـــن أحلامـــه أن يصيد القمر ، ويودعه في قفـــص مكوناته من الطبيعة ؛ ندى، وشذى ، وزهرة ، لقد خلق الالتحام الشديد بين مكونات النص شعريته علاوة على اللغة المنتقاة بعناية شديدة للتعبير عن هذه المكونات .

وتبدو أن لحظة الماضى في حياة الغلام لا تختلف كثيرا عن حاضره الذي حاول فيه أن يصـــيد القمـــر ، فيـــترجم أحلامـــه إلي حقيقة ملموسة . تقول الشاعرة :

وفي ذات صيف تسلل هذا الغلام مساء
خفيف الخطي عاري القدمين مشوق الدماء

إلي قولها:

وطوقه العاشق الجبلي ومس جبينه

وقبل أهدابه الذائبات شذي وليونة [1]

وكان للرؤية الخارجية / الراوى العليم/ دور واضـــح في تحديد المكان ووصفه بعناية وتتـــبع شخصـــية الغلام في مرحلتيه الماضية والحاضرة وطرح الرؤى المتداخلة بينهما، كما كان لها الدور نفسه فى استقراء الزمن المحدد لاصطياد القمر من قبل الغلام وبهذا فالرؤية قد طرحـــت عناصـــر النص كلها بدقه متناهية ، ظلـــت مسيطرة عليه مع علم كامل بكل أجزائه حتى النهاية .

ويعبر " صلاح عبد الصبور " عن لحظة التذكار / الماضي وما فيها وماهيتها فيقول :

هناك شيء في نفوسنا حزين

قد يختفي ولا يبين

---

(١) ديوان شجرة القمر : صـــ ٤٢٤ / ٤٢٥

لكنه مكنون

شيء غريب ... غامض ... حنون

لطه التذكار

تذكار يوم تافه بلا قرار

أو ليلة قد ضمها النسيان في إزار

لو غصت في دفائن البحار

لجمعت كفاك من محارها (١)

يوضح الشاعر أن لحظة التذكار مكبوتة في نفوسنا ، ولا تطفو على الذهن أو السطح إلا بمثـــير خارجـــي قد تكون لحظة الحاضر بما تحمله من هموم وتناقضات . والتذكار قد يكون غريـــبا غامضـــا حنونا أحياناً، وقد يكون يوماً تافهـــا أو أحداث مرت فى ليلة نسيت من قديم الـــزمان أو غير ذلك وهو تفسير جيد لظاهرة

---

(١) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ديوان " أقول لكم " السابق ، صـــ١٠٩

التذكار يقارب فى مجمله رؤية النقاد والفلاسفة لهذه الظاهرة ؛ ماهيتها ، وسببها .

وفي قصيدته "العائد" يقول :"

كان طفلاً عندما فرّ عن البيت وولي
من سنين عشرة ذات مساء كان طفلا
وافتقدناه وناديناه في أحلامنا
وانتظرنا خطوة المخضر فى كل ربيع
وشكونا جرحه خلاتنا
وتسلينا بكأس مرة من يأسنا
وتناسيناه إلا رغدة تجتاحنا أول أيام الربيع
عندما نشعر بالشوق إلى طفل وديع (١)

فـــى قصـــيدة "العائد" يأتي الماضي ليكمل بنية السرد الحكائي فيها إذ تداخلت الأحداث فجاءت نهايـــة القصة في بدايتها ، وجاءت البداية في الوســـط ؛وذلـــك لإبراز الرمز، وطرح قيمته

---

(١) ديوان أقول لكم : ص١٣٤

الدلالية علي المتلقي ذلك الذي يجب أن يتعاون مع النص بإيجابية،فيأخذ منه بقدر ما يعطيه.

تطـــرح الـــبداية فـــي الزمن الحاضر عودة الطفـــل ،والهيئة التي ارتد بها من غيبته لحظة التقابل الأولي بينه وبين أبويه ثم يأتي الماضي ليفســـر بعض المغالق فى النص إذ بيّن عمر الطفـــل عند خروجه من البيت ، والوقت الذي خرج فيه وهو"المساء" وتأثير لحظة الفقد علي أبويه ،ثم يستقرئ الشاعر بعد ذلك مالذي حدث عندما عاد الطفل ..ويمكن طرح الخط الدرامي للماضـــي والحاضـــر في القصيدة علي النحو الأتي :

حاضر / علاقات / ماضي
نهاية / إنسانية / بداية
علاقات / حاضر
إنسانية / نهاية وبداية جديدة

والطفل في القصيدة يمثل ماضي افتقده الشاعر وأراد أن يلتف إليه مسترجعا إياه عن طريق الرمز ومن ثم فهو رمز يترجم التجربة العاطفية الذاتية القديمة التي مر بها الشاعر ، ويطرح أيضا حكم المشاعر الحزينة التي أحاطت به،ورؤيته المتشائمة للحياة التي انسلخت منها .

يقول الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن عن الرؤى الفلسفية والفكرية في هذه القصيدة "وقد جسد صلاح عبد الصبور هذه الرؤية الفلسفية المتشائمة والحزينة لواقع الحياة من حوله في صورة طريفة دالة وممتعة هي صورة هذا الصراع الخالد فى الحياة بين الإنسان والزمن .. فالطفل الضائع هنا رمز عن الماضي، والماضي رمز عن الزمن الذي يتمثل للشاعر في تجربة عاطفية سانجة عايشها في مطلع شبابه وبقيت ذكراه الحلوة باقية في نفسه، وهي

تكـــرى فرضـــت نفســـها عليه في هذا الواقع المضـــني الذي يقاسى منه،فالإنسان يظل يتوهم أن الماضـــي خير من الحاضر وأن عودة هذا الماضـــي فـــي صورة أو أخرى كفيلة بإسعاده وبعـــث عناصـــر الخصوبة في نفسه ولكنه لا يلبـــث أن يكتشف حين يستحضر هذا الماضي عجزه عن مواجهة الواقع الذي يعايشه.(١)

ويمكـــن قـــراءة الـــنص من وجهة نظر أخري نستطيع من خلالها طرح أبعاد الصراع بيـــن الإنســـان والزمن،هذا الأخير الذي يسلط أدواتـــه للقضـــاء علي الإنسان مادياً ونفسياً ، فالطفل العائد بحاضره / لحظة العودة ،وماضيه يمثل رمزاً لحب حدث فى الزمن الماضي افتقده الشـــاعر ولم يستطع تذكاره؛ ذلك لأن التذكار أصـــبح عبـــئاً وعذابا وقصوراً ، فكان النسيان

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن : اتجاهات النقد في الأدب العربي الحديث،دراسات تطبيقية ،السابق ص ٢٩١

مهـرباً مـن المـوت والبكاء على ما ضاع ، وتتجسد لحظة الحاضر فى عملية التذكر نفسها التى تحمل فى بنيتها المدى النفسي للعلاقة بين الإنسـان والزمـن ، ومن ثم يمكن القول بأن الشـاعر يقـيم بناء قصيدته على ثلاثة أفكار ؛ الطفـل والحـب والزمـن ليطرح من خلالها إحسـاس الإنسان المعاصر بوطأة الزمن عليه وعجـزه عن مواجهة أحداثه من خلال تأكيده لعجـز ماضـى هـذا الإنسان عن مـواجهة الحـاضر[1].

ومن هذين التفسيرين للنص يتضح أن تيمة صـراع الذات مع الزمن الحاضر هى المحرك أو الدافـع الرئيس في استدعاء الماضي إذ إن الـذات عندما تفقد التواصل مع ذاتها ومع الأنا الجماعـية تستحضر الماضى الأليف وبخاصة مـرحلة الطفولـة لـتكون تعويضاً عن القيم المفقودة فى الـواقع المعاصر ... "[2]

---

(١) نفسه ، ٢٩٢

(٢) مراد عبد الرحمن مبروك : بناء الزمن في الرواية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، صـ١٥٩

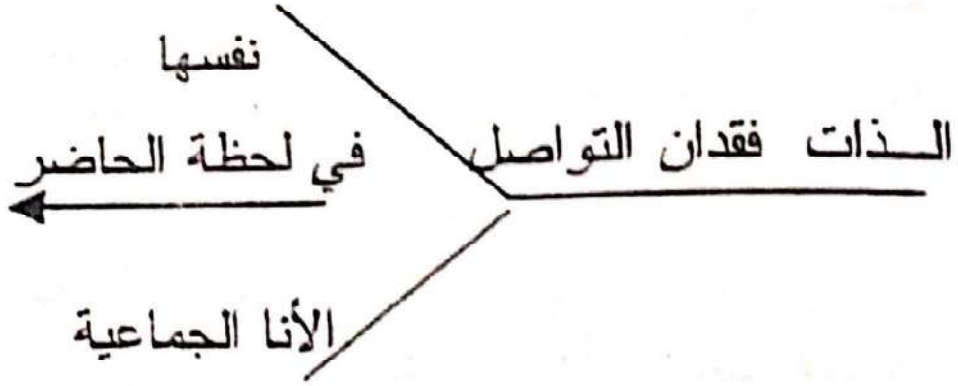

اســـتدعاء ←—— للحظـــة الماضـــى القريب والبعيد .

وهـــذا ما ترجمه"صلاح عبد الصبور"في نهاية قصيدته في قوله:

واتئد طفلنا الأوحد

فالدنيا عقيم وعجوز

لم يعد غيرك في الدنيا لنا (١)

فالســـارد- هـــنا- يطلب من الماضي / الحـــب / الطفـــل العائد أن يمكث معه ، فترة طويلـــة ، ولا يتلاشـــي ، لأن الزمـــن أصبح عجـــوزا لا يلـــد إلا الحزن والتشاؤم ، من ثم

---

(١) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ديوان أقول لكم: ، السابق ، صـــ ١٣٧

أصبح الحب الآمان الأول والأخير ضد تقلباته. ويمكـن للمتلقي من خلال هذا الاستقراء للنص أن يقولبه كالآتي :

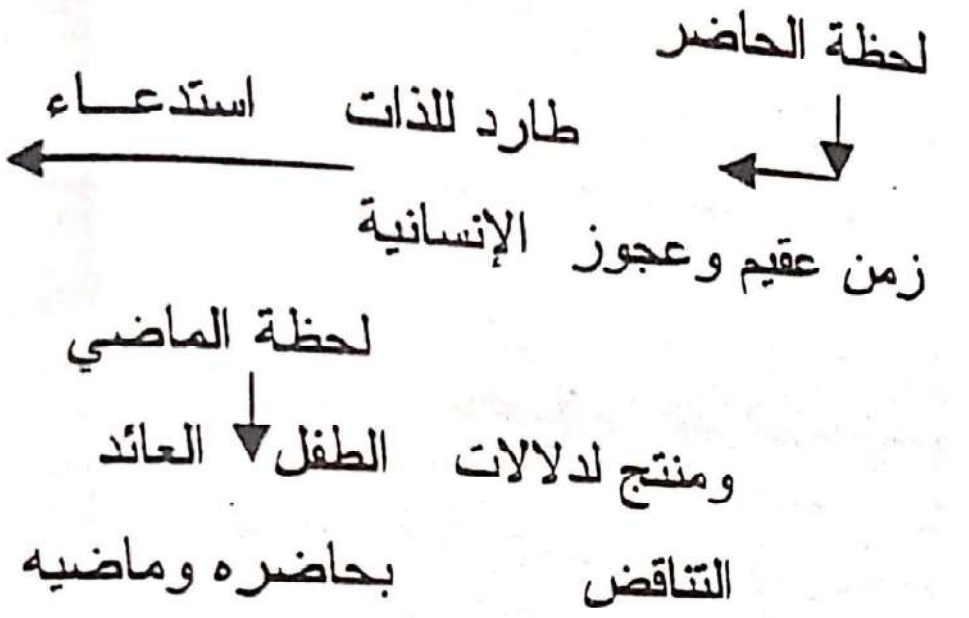

ويقـول د. محمـد فـتوح إن الرمـز في هذه القصـيدة " ذو مستويين المستوى الحقيقي الذي اتخذه الشاعر بمثابة القالب لعاطفته وهو الطفل العـائد، ثم المستوى التجريدي الرمزي ونعني بـه الحب الذي افتقده الشاعر فترة من الزمن والـذي أشـبهت فرحته به فرحة الوالد بعودة طفله الغائب (١)

---

(١) محمد فتوح أحمد: الحداثة الشعرية من منظور رمزي،دار الثقافة العربية ،١٩٨٩ ،ص١٤٢

ويطـــرح " صـــلاح عبد الصبور " فاعلية الماضـــي / النص المغيب عن لحظة السرد في إزاحـــة كـــم الهمـــوم والآلام التـــي مرت بها الشخصـــية الســـاردة في قصيدة "الملك لك " ؛ يقول:

صباى البعيد
أحن إليه لألعابه
لأوقاته الحلوة السامرة
حنيني غريب
إلى إخوتى
إلى حفنه الأشقياء الظهور ينامون ظهرا
على المصطبة
وقد يحلمون بقصر مشيد
وباب حديد ....(١)

---

(١) صلاح عبد الصبور ، الأعمال الكاملة ديوان النـــاس في بـــلادي ؛ صـــ٥٨

بعـد هذا الاسترجاع تغير زمني حدث في النص بفعل لحظة الحاضر وكأنها مثير أو دافع لقـراءة النص المغيب / الماضي الذي لا يأتي إلا للتخفـيف مـن حـدة الواقع السيئ المحيط بالشخصـية نتيجة صدام الحاضر ومفارقاته . وقـد طـال في النص الشعري بناء على رؤية الشـاعر لمفردات الحكى داخله ، واعتمد على مثيرين أو دافعين ، الأول يقول عنه الشاعر :

بلوت الحياة وأرزاءها

عرفت صليل القيود الحديد

وكم ليلة جعت يافتنتي

وأخرى ظمئت

وكم جعت عارضى الدماء

وقد وخزتها ليالي الشتاء

تصارعت والهول وجها لوجه (١)

---

(١) ديوان الناس في بلادي : صـ٥٧

يعبر المثير الأول عن حالة الشخص المتكلم في النص من حيث عراكه مع الحياة، إذ عرف القيد والجوع ، ونَزْف الدماء ، والنوم في ليالي الشـــتاء ، حتى إنه صارع الهول وجها لوجه ، وهـــذا ما دفعه إلى استرجاع صباه البعيد بما يتضمنه من أوقات طيبه ، ومكان لهو وصحبة وأخـــوة وحفنة من الأشقياء الذين ينامون ظهراً علـــى المصـــطبة ويحلمون بواقع حالم يتضاد وواقعهم الحاضر، ثم يقول :

إلى أمي البرة الطاهرة

تخوفني نصة الآخرة

ونار العذاب

وما قد أعدوه للكافرين ...

وفي الليل كنت أنام على حجر أمي

وأحلم في غفوتي بالبشر (١)

---

(١) ديوان "الناس في بلادي": صـــ٥٩

ينـــتقل الراوي إلى استرجاع [illegible]
العلاقـــة التي تحمل طبيعة خاصة فى تكوينها ودلالاتها ،فيتذكر يوم كانت تخوفه من الآخرة وعذابها وما أعده الله للكافرين فيها وساعة أن كانـــت تصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم عندما كان يتخبط عقله في الأحلام .ولاشك أن هـــذه العلاقة الخاصة التي لجأ إليها هي سلوك نفســـي إيجابـــي اختـــاره برغبـــته في ماضيه واســـترجعه ندمـــا علـــي أنه لم يسر عليه في الحاضـــر وقـــد استدعى الشاعر حدثاً آخر له طبـــيعة خاصـــة ،جعلـــته يستقر في ذهنه ولا ينساه،وليقارن بينه وبين لحظة الحاضر ،يقول :

صباي البعيد

وأرعد إن مس قلبي رجع فجائعه المرة

الجائرة

وهذا الرجل !!

وكانت خطاه خطي العنفوان

وفي عينه ومضة الكبرياء

وفي ليلة عاد من حقله

وقد قطبت وجهه علته

ومات ! (١)

ويبدو أن الراوي اختار سرد هذا الحدث – بالذات – ليؤكد أن فجائع الزمن ومصائبه واحدة، فالقهر والموت والتشرد والوحدة صفات أبديه لا يغيرها الزمن بل يضيف إليها جديداً، ففي فترة الصبا شاهد الرجل /أخاه الذي كان قوياً وفي عينيه كبرياء ،ولكنه أصيب بعلة ومات،وفي حفرة دفن وقيدت أبواب مدفنه بالحديد القوى ،إنها صورة مؤلمة تبقي في المخيلة وقتاً كبيراً ، ولا تسترجع إلاّ عند المقارنة والموازنة، وهي صورة شعرية جيدة تعتمد علي الإبحار في الذاكرة والدخول في

---

(١) ديوان " الناس في بلادي ": ص٦٠

العمق ومن ثم ، فالصورة عند صلاح عبد الصبور "عميقة المعني والدلالة ،مكثفة ومصادرها ترجع إلي الإبحار في الذاكرة، وإلي قراءاته في مختلف العلوم والفنون والفلسفات ورحلة الكشف في كتب الصوفية.."(١)

ويأتي المثير الثاني الذي يدفع الراوي إلي استرجاع ذكريات الشباب يقول الشاعر :

وطيفك يبهجني بالحياة
فأحبو إلي ذكريات الشباب
عرفت به فورة الأقوياء
بقلبي فأضحت حياتي لهيب
وقالت لي الأرض "الملك لك
تموت الظلال ويحيا الوهج (١)

---

(١) محمد الفاس :الرؤيا الإبداعية في شعر صلاح عبد الصبور الهيئة العامة للكتاب ،١٩٨٦ ،ص ٨٨

(١)صلاح عبد الصبور:الأعمال الكاملة ، "ديوان الناس في بلادي"ص٦٢ ويرمز البيت الأخير إلي هذه المقولة: "تموت الأفراد وتستمر الإنسانية خالدة".

والشخصـــية التي توجه إليها بالحديث هي التي دفعته إلي قراءة ماضيه في لحظة الشباب عـــندما كان قوياً ،وعندها قالت له الأرض بما فـــيها أنت الملك والسيد ،"الملك لك" ويعبر هذا التداخل في الأزمنة عن هموم الشاعر ومعاناته، وإرادة الخروج من واقعه إلي آخر مغايراً بل أكـــثر أمـــلا وتفاؤلاً في تغيير مصير الإنسان الذي أصبح يهمه بالدرجة الأولي .

ويـــتحول الشـــاعر مـــن هذه الاسقاطات الزمنية الموغلة في التشاؤم إلي زمن آخر، وهو المساء الأخير الذي يري فيه الأشياء بلون جديد يقول :

أو احدتي في المساء الأخير

ألوب إلي غرفتي

ويزحم نفسي انبهار غريب

وانظريا فتنتي للسماء

ومن بابها الذهبي الضياء

يضئ الدجى بانهمار النجوم
يثور في وجنتيها السلام
وتصدح أجراسها بالفرح
وأفرح يا فتنتي بالحياة
بالأرض (١)

يرسم الشاعر صورة متفائلة للزمن لحظة المساء إذ يدلف إلي نفسه في هذه اللحظة انبهار غريب يفيري السماء تنشر نورها في الدجي ، ويسطع السلام في كل مكان فيفرح بالحياة وبالأرض وبالملك ، ولاشك أن هذه الصورة تخفف إلي حد كبير مما عرف عن صلاح عبد الصبور من نظرته المتشائمة وهو نفسه ينفي ما تردد عنه من هذه الرؤية الحزينة للأشياء عندما قال في كتابه حياتي في الشعر : "لست شاعراً حزينا ..ولكني شاعر متألم وذلك لأن

---

(١) ديوان " الناس في بلادي " : ص ٦٣

الكـــون لا يعجبني ولأنني أحمل بين جوانبي – كما قال شيللي – شهوة إصلاح العالم .."[1]

وذلـــك يعني أن نظرته المتشائمة ليست منتجاً خاصـــاً بـــه،وإنما هي انعكاس لواقع اجتماعي ســـيئ دفعـــه لأن يتجول بقلمه إلي كل الأزمنة باحثا عن فكر جديد وواقع مغاير .

ويقول " أمل دنقل "في قصيدته "طفلتها "

"كان يا ما كان

لم يملك إلا مبدأه

وفتاة ذات ثغر يشتهي قبلة الشمس

ليروي ظمأه

خفق الحب بها فاستسلمت

وسرى الحب به فاستمرأه

بهما قد صعدت مركبة

للضحى

---

(١) صلاح عبد الصبور :حياتي في الشعر ،ط١،ص ٧٤

في قصة مبتدئة [1]

يسرد الشاعر أو الراوي العليم رؤيته من الخارج ليستقرئ أبعاد الزمن من معظم زواياه ومبيناً أثره علي الشخصية حاضره وغائبه. ولقد كان الدافع الأول لاسترجاع الزمن المغيب أو الضائع من حياة الراوي ، هو محاولة امتلاك الطفلة التي وجدها بعد غياب، وتلقينها الحقيقة ،وجاء الاستحضار على مستويين ؛ الأول يسرد البداية الأولي لعلاقة الحب بين الفتي والفتاة التى لم يحصل عليها ، والمستوى الثاني يترجم نهاية هذه العلاقة يقول الشاعر :

ذات يوم

كان أن شاهدها

من له أن يشترى نصف امرأة

حينما أو مالها مبتسما

---

(١) أمل دنقل : الأعمال الكاملة ديوان "مقتل القمر"ص ٥٦/ ٥٧

فأشاحت عنه

كالمستهزئة

اشتراها في الدجي

صاغرة

زفت السبعة عشر -للمئة

لم يكن شاعرها فارسها

لم يكن يملك إلا ..

التهنئة

لم يكن يملك إلاّ مبدأه

ليس إلا ..

كلمات مطفأة. (١)

ونهايـــة القصة التي حكاها الراوي العليم غير بدايـــتها ؛ إذ لم يستطع الحبيب أن يتزوج من فتاته لأنها تزوجت من إنسان آخر يكبرها سناً زفـــت إليه وهي بنت السبعة عشر،وهو يقارب

---

(١) ديوان "مقتل القمر": ص ٥٨

المـــئة، فلـــم يكن شاعرها قارئتها لم يكن في استطاعته إلا التهنئة !!والناظر للغة النص ؛ كلماتـــه وعباراته، يلحظ أنها لم يتزوج زواجا طبيعـــياً وإنما كانت علاقة ارتباط يشوبها الإثم لأنهـــا قامت على تغييب وعي الفتاة فلقد بيعت علـــي أثـــر ذلـــك كالرقيق ،وهذا يؤكده مقولة الشاعر :

من له أن يشترى نصف امرأة [1]

وفـــي قصيدة أخرى للشاعر نفسه ،يطل علينا الماضـــي بكل عوالمه وتأثيراته المتباينة،يقول النص موضحا الدافع الرئيس للاسترجاع.

مالذي جاء بنا الآن

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذي في دمنا

لم يزل يحبو ..

---

(١) نفسه :ص ٥٨

ويكبو ... [1]

يطرح النص المثير الفاعل في تحريك لحظة الماضـــي ، وهـــو الخوف من العمر / الزمن الحاضـــر والمســـتقبل،ومحاولة إعادة لحظات الطفولـــة التي مازالت أثارها باقية في الصدر، ويأتي الاسترجاع علي هذا النحو

نحن كناها هنا يوماً

وكان

وهج النور علينا مهرجان

يوم أن كنا صغاراً

نمتطى صهوة الموج

إلي شط الأمان

كنتُ طفلا لا يعي معني الهوى ...

عامنا السادس عشر

رغبة في الشرايين

---

(١) ديوان "مقتل القمر": ١٠٩

وأعواد لدان (إلي قوله)

....

وانتهت سنة من عمرنا

أو .....سنتان

وكما يهدأ عنف النهر

إن قارب البحر

وقاراً واتزان

هدأ العاصف في أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلاّ ...هبوط العنفوان

افترقنا .[1]

في النص استرجاع لفترة عاشها الراوي، كانـــت مؤثرا إيجابياً في حياته ،ولذا عاد إليها بذهنه مرة ثانية ،ليوازن بينها وبين ما وجده في

---

(١) ديوان "مقتل القمر" : ص ١٠٨ /١٠٩

حاضـــره من اغتراب نفسي ومكاني، إذ لم يعد يعرفه المكان علي حد قولـــه :" لم يعد ينكرنا حتي المكان"وأصبح يشعر بالغربة مع محبوبته، حتـــي صار اللا تواصل بينه وبين الموجودات أقرب إلي روحه من التقارب والألفة بينها وما كان موجودا في الماضي الجميل، إذ كانت بينه وبيـــن المكان ألفة وكانت علاقته بمحبوبته في مهدها الأول،لم يدغدغها الزمن بمراسيه،إلي أن وصل بهم العمر إلي العام السادس عشر، وهو عـــام الشباب ،فيه تشتغل نار الحب ، ويحدث بين المحبوبين نوع من التقارب الشديد علي حد قول الشاعر:

قدماتا تحتها تعتنقان

ويدانا فوقها تشتبكان (١)

---

(١) ديوان " مقتل القمر" : ١٠٧

على أثر هذا التقارب ، تكون كل الأحاسيس والمشاعر الداخلية موجهة إلى نمو الحب ، فلا اصغاء لصوت العقل أو الأهل ثم تنتهى مرحلة هذا الجنون البكر ، وتمر سنة وسنتان وتهدأ ثورة الحب ، كما تهدأ أمواج النهر إذا قارب خط النهاية :المصبّ!!

وباستقراء النص يتضح أن الاستحضار جاء على ثلاث مراحل تجسد الأولي مرحلة الطفولة والصفاء الروحى والذهني ، والثانية في العام السادس عشر مرحلة الشباب ، والثالثة ؛ مرحلة الرجولة ، والهدوء النفسي ، الاتزان والوقار ، ولا شك أن هذه المراحل تمثل كل حياة الإنسان من البداية إلى النهاية ، ويأتي الدافع لهذا الاستحضار في أول القصيدة وفي نهايتها كالآتي :

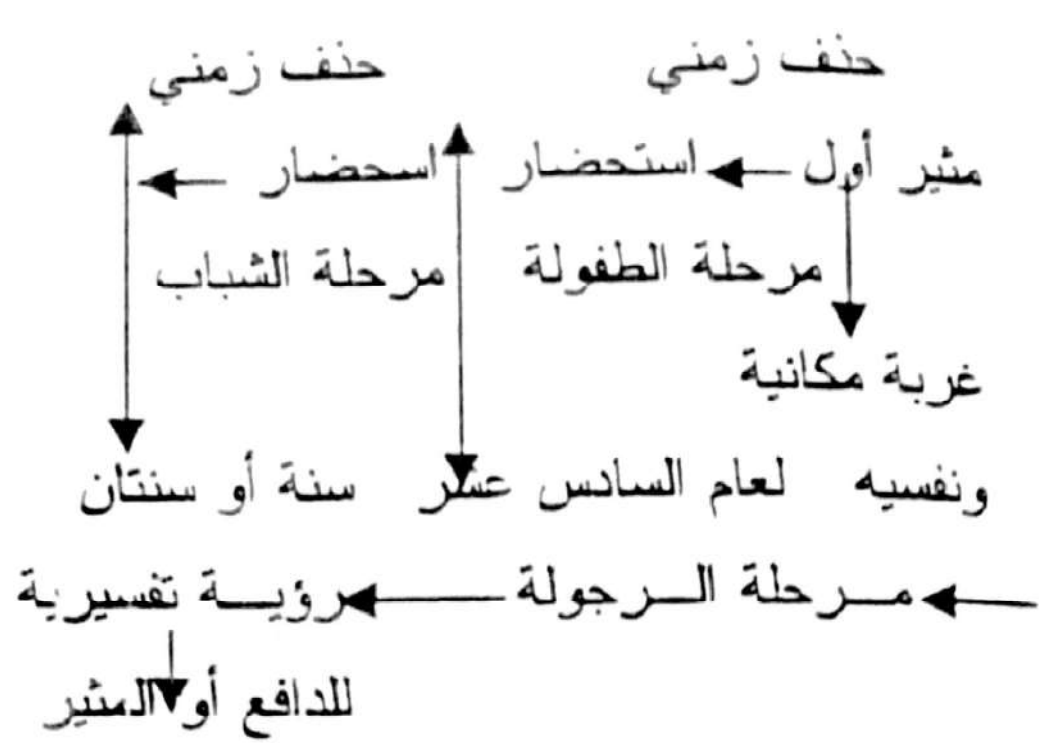

ويقول " حامد طاهر " في قصيدته "النيل في القاهرة " :

وعندما اغتربت

كنت حينما يفيض بي الحنين

استعيد وجهه النبيل

وقد تراقصت به الأمواج

وانحني على شطآنه النخيل

فأسترد بعض روحي

استشف نسمة ممزوجة بالعشب

تطفئ الظليل ! [1]

يوضح الأنا السارد في هذه الأبيات المشر القـوي الـذي دفعـه إلى استحضار الماضي الخـاص جـداً في حياته وهو الغربة والحنين الدائم إلى أرض الوطن وبخاصة " النيل " الذي يحمـل في قلوب الشعراء ذكريات لها طبيعتها الخاصة، فالإحساس بالوحدة وباختلاف مفردات المشـهد عمّا تأنس الذاكرة دفعه لاستعادة وجه النـيل بأمواجـه المتراقصة ، ونخيله الفياض بالعـزة والكرامة والوحدة والتماسك ، ونسيمه الطيب . ومن خلال لغة الاستحضار نلحظ أن ثمـة ارتـباطا وثيقا بين الشاعر / الأنا المتكلم والمكـان المسـتدعي ، نتج عنه اختيار دقيق للكلمـات أدى إلى تكوين صورة شعرية عالية المسـتوي الفنـي والإنساني قربت العلاقة بين

---

(١) حامد طاهر : عاشق القاهرة ، صـ ١٥٠

شـــقي الـــنص ، الزمن الحاضر والماضي إلي ذهـــن المتلقـــي . وتتمثل العبارات المنتقاة في وجهـــه النبـــيل ، تـــراقص الأمـــواج ، نسمة ممزوجة بالعشب ، تطفئ الغليل .

ب- الاستشراف ولحظة (الصفر)

ونعني به عرض أحداث لاحقه لا تتصف معظمهـــا باليقيـــن ، وتمثل قطعا لزمن السرد الشـــعري الحاضر وتتنافى مع التشويق النصى الـــذي يفضـــله المتلقي المتفاعل مع النص، إذ يجـــب أن يكون ثمة نقط غامضه لا يكشفها إلا بنفســـه حتى تمنحه قدرة على مواصلة القراءة وهذه المفارقة بين تقنية الاستشراف وما تؤدي إلـــيه كانت دافعا لمقولة جيرار جينت: " إن الاهـــتمام بالتشـــويق السردي الخاص بتصور

الـرواية الكلاسـي بمعناه العام ...لا يـنسجم كثيـراً مع هذه الممارسة "(١)

وفـي هـذه الممارسـة الزمنية أحيانا ما يسـتخدم الراوى " الصيغ الدالة على المستقبل لكونـه يسرد أحداثا لم تقع بعد على أن هـذه الصـيغ تتـغـير وفقـا لطريقة السـارد / الراوي ... "(٢)

تقول " نازك الملائكة " في قصيدتها " أول الطريق " :-

سنحيا معاً في عوالم حافلة بالوعود
ونملك ليلاً يبيع النعاس وعطر الورود
سينبجس الماء حيث لمسنا أديم الثري
ويرقص حول خطانا باجنحة من شذي
سنمحو الزمان

---

(١) جيرارجينت :خطاب الحكاية ؛ السابق ، صـ٧٦

(٢) مـراد عـبد الـرحمن مبروك : بناء الزمن في الرواية المعاصرة السابق، صـ٦٦

ونتسي المكان

هناك ونقسم ألا نعود

إلى أمسنا المنطوي

سر بنا .[1]

تتطلق الشاعرة إلى لحظة المستقبل ورؤي جديـــدة خوفاً من حاضرها أو الطريق الغريب المخيف على حد قولها :

غريب مخيف المعابر ، يشبه لون المنون

فالطـــريق الذي يمثل لديها المعبر للحياة ، لونـــه يشبه لون الموت، ووراء هضابه سراب يـــزيد من الوحشة والألم ، وتحس أن في لونه مصـــرعها ومن ثم حاولت أن تتخطى اللحظة الآنـــية إلـــى أخرى مغايرة في دلالاتها ، تتسم عوالمها بالوعود الطيبة والعطر والورود والماء الطيـــب، عـــندها سيتلاشي الزمان ، ويتناسي

---

(١) نازك الملائكة : الأعمال الكاملة ، الجزء الثاني ديوان " قرارة الموجة" صـــ ٢٣٠

المكـــان ولا رجعـــة للماضـــي الأليـــم ، هذا الاســـتقراء للـــنص يعنـــي أن ثمة مفارقة بين لحظتيـــن زمنيتين في الدلالة الإنسانية: لحظة الحاضر التي أصبحت ماضيا ، والمستقبل الذي أصـــبح للشـــاعرة هـــو الحاضر الذي تتمني الاستمرار في معيته.

وإذا ما نظرنا إلى لغة النص نجدها تشير إلـــى آليات المستقبل من حيث الحرف والفعل والصورة؛ فلقد استخدمت الشاعرة هذا الجدول من المفردات لتبرز رؤيتها :

الحرف	الفعل	الصورة الحالمة
السين	نحيا	نملك ليلاً يبيع
	نملك	النعاس وعطر
	ينبجس	الورود
	يرقص	
	نمحو	ويرقص حول خطانا
	ننسي	بأجنحة من شذى
	نعود	

ويتحدث " صلاح عبد الصبور " عن المستقبل ويرد علمه إلى الله قائلاً :

الله وحده الذي يعلم ما غاية هذا الوله المؤرق

يعلم هل تدركنا السعادة

أم الشقاء والندم ؟

وكيف توضع النهاية المعادة

الموت ... أو نوازع السأم ؟

يعلم حين نلتقي بعد سنين أو شهور

هل سيكون في العيون وجدها

هل سيكون في العيون حقدها

أم نلتقي كالأصدقاء القدماء

يسلمون في فتور ....

يودعون في فتور .... (١)

---

(١) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ،ديوان "أحلام الفارس القديم" صـ٢١٩ / ٢٢٠

يوضح النص أن أمور المستقبل كلها مردها إلي الله ؛ فالأرق والسعادة والشقاء والندم ونهاية الإنسان، سواء أكانت موتاً أم نوازع السأم مرد كل ذلك إلي الله ؛ لأنها من المغيبات عن البشر ، ثم تساؤل عن طبيعة ما تحمله العين هل سيكون بها الوجد أو الحقد ، وهذا هو تساؤل الذي لا يعلم حقيقة الأمور وقد اعتمد الشاعر في عرضه لهذه الرؤية على الاستفهام لأنه يطلب العلم بأمر لا يعلمه محاولاً معرفة مدي صدقه ،ولجأ إلى الكلمات الدالة على المستقبل مثل الفعل المضارع " يعلم، وتوضع ويلتقي، يكون، وحرف الاستقبال " السين" ، ثم لجأ إلى إبهام الزمن أو عدم تحديده لتعميق دلالة الاستقبال وذلك في قوله : بعد سنين أو شهور .ومن ثم فالنص يطرح الاحتمالات التي تصل إليها قصص الحب في المستقبل .

ويقول صلاح عبد الصبور في موضع آخر مبينا الدافع الأول للأحلام أو استشراف المستقبل ، وما يتمناه في غده .

ما أجمل الأحلام

لمثلنا ، لمن يمرهم شجي الأيام

لحن الختام يا حبيبتي هو السلام والدعاء

وأن تكوني لي ... إلى الأبد

وأن يكون حبنا مباركا كما الحياة

وناميا عميقة جذوره في نفسنا

ممزوجة أقدارنا في كأسه نعبها معاً

وأن تكون مقلتاك آخر الذي أري من الحياة

وحين يكون قلبك الكبير جنب قلبي

فالبحر لا يفصلنا

والنار لا تخيفنا

وكل شيء يا حبيبتي يهون

ما نمت لي ... إلى الأبد [1]

يوضح النص أن مرارة الأيام ، وما تحيكه من حزن حول الإنسان، هو الدافع الرئيس للأحلام وقراءة المستقبل ويتمني السارد الذي دفعته الأقدار تجاه الزمن الضد / المستقبل أن يكون لحظة الختام بينه وبين محبوبته هي السلام والدعاء ، وأن يمتلك محبوبته إلي الأبد وأن يبارك الله في حبهما ويجعل جذوره نامية في نفوسهما ، وأن يعيشا أيامهما طاهرين شامخين ، وأن تكون مقلتا حبيبته آخر ما يراه في دنياه غير أن أعظم ما يتمناه أن يكون قلبها بجوار قلبه لا يفصلهما البحر أو النار .

ويعتمد النص في استشرافه للأحداث المغيبة على التمني الذي يعني طلب شيء مرغوب فيه غير أنه لا يتحقق إلا في المستقبل وقد خرج

---

(١) ديوان " الناس في بلادي": صـ ٧٦/ ٧٧

عـــن معـــناه الأصلي إلى معان أخري مجازية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال كالرجاء وفـــيه يكون التمني مترقب الوقوع ، مطموعاً في حصوله .

فالشـــاعر أو المتكلم في النص يترقب وقوع تغـــير فـــي علاقته مع محبوبته إلى الأحسن ، ويطمـــح فـــي أن يحدث هذا حقيقة لا خيالاً . واعتمد على الفعل المضارع ؛ يكون، ونعيش، ويفصـــل وتخـــيف وكل أفعال النص تدل على الاســـتقبال وقد اختار الشاعر الضدين ؛"البحر والـــنار" ؛ ليعمق علاقة التواصل والتأثير بينه وبين المحبوب فهما ضدان يجتمعان علي معني التطهير،عبدا قديما رمزين للقوة المدمرة.

يقول " أمل دنقل " في " الاصحاح الثالث".

عندما تهبطين على ساحة القوم لا تبدئي بالسلام

فهم الآن يقتسمون صغارك فوق صحاف

الطعام

بعد أن أشعلوا النار في العش

والقش

والسنبلة

وغدا يذبحونك .... بحثا عن الكنز في

الحوصلة

وغدا تغتدي مدن الألف عام

مدنا للخيام

مدنا ترتقي درج المقصلة ..[1]

يستقرئ الشاعر المستقبل فينهي مدينته مصر ألا تبدأ بالسلام عندما تنزل علي ساحة

---

(١) أمل دنقل : الأعمال الكاملة العهد الآتي ، سفر الخروج الإصحاح الثالث، صـ٢٩٣ وراجع أقوال جديدة عن حرب البوس،قصيدة " لا تصالح " صـ٢٥٢

وفي هذه المقطوعة ،تناص أو استدعاء ،لحكاية فولكوريه ،هي الدجاجة التي تبيض الذهب .

القــوم لأنهــم قتلوا أولادها بعد أن دمروا كل شيء، وفي الغد سيذبحونها بحثا عن مجهول؛ قــد يكــون شــيئاً ذا قــيمة أو ليس له قيمة، وستصــبحين فــي الغــد مدنا للخيام والضياع والتلاشي في حين أنك كنت يوما من الأيام مدن الألف عام تفتخرين بمجدك وانتصاراتك .

هــذه قــراءة للمستقبل اعتمدت في تكوين شــعريتها علــي الرمز إذ رمز الشاعر للمدينة بامــرأة بيــنها وبيــن قومها عداوة ويريدون اغتصابها ،ومن خلال اللغة الرمزية تستطيع أن نقرأ في النص دلالات التدمير والظلم والغدر، وفقدان الحريات ..

ولقــد جــاء التكرار وعلامات الاستقبال لتأكــيد المعنــي وتقريــبه إلــي ذهن المتلقي وإحساســه فــي الوقت نفسه بأن الظلم والقهر مستمران في المستقبل فكرر لفظة "غدا" ولفظة "مرت" وجاء الفعل المضارع "يذبح" و"ترتقي" ،

" ويقتسم " ، "وتهبط" للإشارة إلي الاستقبال ولاشك أن هذه التكونيات الفنية قد استقرأت رؤية الشاعر للواقع السياسي،وصنعت علاقة إيجابية بين المتلقي والنص جعلته يستشعر مرارة الزمن وقسوته .

حـ- الحذف :/ القفز الزمني

وهو إلغاء جزء من زمن القصة والقفز بالأحداث فترة زمنية للأمام،وبهذا يطيل من مساحة السرد الزمنية ،وقد يكون الحذف محدداً أو غير محدد أي إنه " انتقال مفاجئ من نقطة زمنية معينة إلي نقطة أخري سواء عن طريق الإشارة الزمنية لهذا القفز أو عدم الإشارة ، ولكنه يفهم من سياق الأحداث. " (١)

يقول "صلاح بد الصبور "في قصيدته" عود إلي ما جرى ذلك المساء "

---

(١) مراد عبد الرحمن مبروك / بناء الزمن ،السابق ،ص١٠٠

بعد قليل من زمان

طردت من بلاط القصر يا سادتي الفرسان

صرت ابن سبيل جائعاً مهان .[1]

يقفــز الراوي بالأحداث مسافة زمنية ليعلن تغير الحال الذي كان عليه،إذ طرد من القصر وصار ابن سبيل لا يعيش إلاّ جائعا ومهانا .بعد أن كان كل شيء في القصر .

وضع إيجابي مسافة زمنيـــــة وضع سلبي

بعد قليل من زمان

ويقول "صلاح عبد الصبور "في موضع آخر.

مرت أيام يا موتانا ،مرت أعوام [2]

هــنا قفر زمني غير محدد،تتغير الأحداث بعده لتقدم رؤية جديدة مناقضة لما سبق .

---

(١) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ، ديوان " تأملات في زمن جريح " ص ٢٩٠

(٢) ديوان تأملات في زمن جريح " : ص ٣١٦

ويقول "صلاح عبد الصبور" :

ومات في مسجنه ،في كوخه الذليل

وبعد عام مثلما يقال دبت الحياة

في روحه، وجسمه" فهب يبتغي النجاة (١)

في النص قفز زمني محدد بفترة معينة بعدها تحولت الأحداث تمامًا فبعد أن مات في كوخه /مسجنه ،دبت الحياة في روحه مرة ثانية،هذه الفترة الزمنية الساقطة من النص،كمنُ بداخلها الأسباب التي أدت إلي الحياة أو إلي التغير

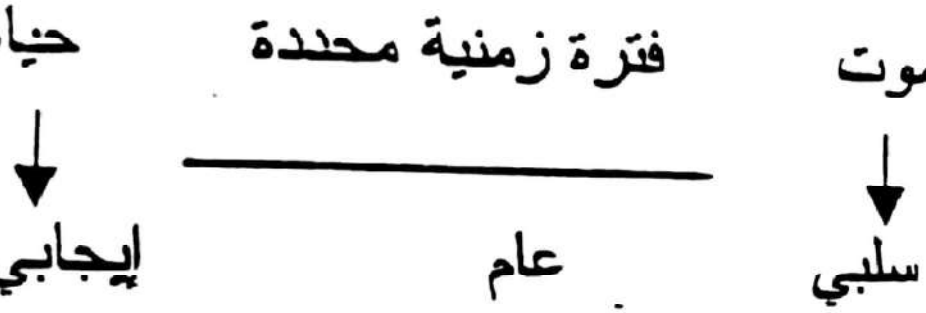

---

(١)ديوان " الناس في بلادي " : ص٥٤ ،ويراجع القفز نفسه في ديوان " أقول لكم" ص ١٥٣

بلاحظ أن القفز الزمنى في كثير من شعر " صلاح عبد الصبور " يسلك طريقة واحدة ، هي طريقة الحاكى الشعبى الذي يروى " حدوتة " فولكورية ؛ ولهذا يقول " مثلما يقال "

والقفز الزمني عند "أمل دنقل " في معظمه محدد بفترة زمنية معلومة ،يقول في قصيدته ،" قلبي والعيون الخضر"

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل ،ويفصلنا نهار قتال...

ثلاث سنين

ينازلني ،أنازله

لهاث ساخن ،وغبار (١)

القفز الزمني في النص محدد بفترة زمنية معلومة ،وهي "ثلاث سنين "فيها تغيرت الأحداث مرتين .

وفي موضع آخر يشير إلي المسافة الزمنية المحددة التي قضاها وهو يبني زورق حب،يخيم عليه من الشوق شراعان ليبحر في عيني محبوبته .

---

(١) أمل دنقل :الأعمال الكاملة ديوان " مقتل القمر" ،ص ٦٤ / ٦٥

سنـــــتان

وأنا أبني زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان [1]

كمـــا أنـــه يشير إلي زمن محدد آخر في قصيدة "الملهي الصغير"يتحول فيه الراوي إلي مرحلة الرجولة التي يتسم فيها بالوقار والاتزان

وانتهت سنة من عمرنا

أو ..... سنتـــــان [2]

ثـــم يشـــير إلـــي الزمن غير المحدد في قصيدته" خطاب غير تاريخي علي قبر صلاح الديـــن" ليوضـــح ما ضاع من العرب في هذا الزمن .

للعرب الغرقي الذين شتتهم سفن

القراصنة

وأدركتهم لعنة الفراعنة

---

(١) ديوان " مقتل القمر " : ص ١٠٣

(٢) نفسه : صـــــ١٠٨، ١٠٩ .

وسنة بعد سنـــــة

صارت لهم "حطين "

تميمة الطفل وإكسير الغد الغنين .[1]

ويأتـــي الحذف عند "نازك" الملائكة" غير محدد المدة الزمنية ، ففي قصيدتها "مرثية يوم تافـــه "أوضـــحت الفعـــل الذى حدث في المدة الزمنـــية المحذوفة ،وهو البكاء رغم أن اليوم الذي تحدثت عنه كان تافهاً كله .

كان يوما تافها ...حتي المساء

مرت الساعات في شبه بكاء

كلها حتي المســـــاء [2]

وتقول في قصيدتها "نهاية السلم ":

مرت أيام منطفئات

---

(١) أوراق الغرفة (٨) : ص ٤١١

قصيدة " حطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين "

(٢) نازك الملائكة: الأعمال الكاملة ،الجزء الثاني ديوان " شظايا ورماد " ،ص ٩٦ /٩٧

لم نلتق لم يجمعنا حتي طيف سراب ..

مرت أيلم

باردة تزحف ساحبة ضجري المرتاب..

مرت أيام

أيام تثقلها أشواقي .أين أنا ...

مرت أيام

لم نلتق أنت هناك وراء مدي الأحلام [1]

في النص قفز زمني غير محدد أدى إلي تسريع الأفكار التي لم تتغير مدلولاتها في المدد الزمنية الأربع التي نكرها النص إذ كانت الأيام في المدة الأولي منطفئات ، وفيها لم تلتق الأنا الساردة بما تريده ،فأحست بالوحدة والسراب ، والأيام في المدة الثانية باردة ،وفي الثالثة كانت الأيـــام تـــنوء بحمل الأشواق والأيام في المدة الرابعة ،لم يحدث فيها اللقاء؛ ولذا تشابهت مع

---

(١)ديوان " شظايا ورماد " :ص ١١٠/١١١/ ١١٢، ويراجع ديوان " قرارة الموجة " ٣٢٤، ٤٣٨

الأولي .وكما ذكرنا فإن الناتج الدلالي لم يتغير في كل مدة وهذا ما جعلها تقوم بتوجيه نداء إلي حبيبها بصيغة الأمر لكي يعود إليها فتقول له

"عُدْ بعض لقاء يمنحنا أجنحة نجتار الليل بها فهناك فضاء (١)

ويقـــول حـــامد طاهر في ديوانه " عاشق القاهرة "

يمضي الزمان

وذلك الحي المعمر قائم لا ينحني

نفس الوجوه هي الوجوه

ونفس هذى الأمكنة (٢)

علـــى الـــرغم من مضي الزمن فلم يتأثر المكـــان ، إذ مـــا زال الحي قائماً لا ينحني لم تغيره حوادث الزمن الذي لم يؤثر على الإنسان

---

(١) ديوان " شظايا ورماد " : ص ١١٢

(٢) حامد طاهر :عاشق القاهرة ، ص ٦١

الأولي .وكما ذكرنا فإن الناتج الدلالي لم يتغير في كل مدة وهذا ما جعلها تقوم بتوجيه نداء إلي حبيبها بصيغة الأمر لكي يعود إليها فتقول له

"عُدْ بعض لقاء يمنحنا أجنحة نجتار الليل بها فهناك فضاء (١)

ويقـــول حـــامد طاهر في ديوانه " عاشق القاهرة "

يمضي الزمان

وذلك الحي المعمر قائم لا ينحني

نفس الوجوه هي الوجوه

ونفس هذى الأمكنة (٢)

علـــى الـــرغم من مضي الزمن فلم يتأثر المكـــان ، إذ مـــا زال الحي قائماً لا ينحني لم تغيره حوادث الزمن الذي لم يؤثر على الإنسان

---

(١) ديوان " شظايا ورماد " : صـــ١١٢

(٢) حامد طاهر :عاشق القاهرة ، صـــ ٦١

- أيضـــاً- ولذا ففاعلية مده القفز الزمني غير المحددة سلبية على المكان والإنسان.

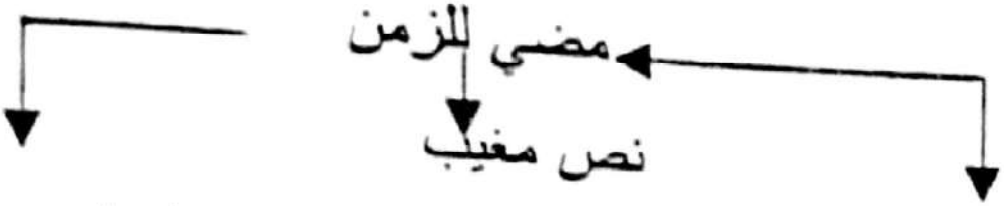

وثمة قفز زمني آخر عند الشاعر نفسه غير محـــدد ،أحست به الأنا/ الساردة ،عندما ذهبت إلـــي مـــياة الخليج فرأت ملامحها في مياهه قد تغيرت، وشعرت بأن حفنة من السنين انقضت، تقول معبرة عن هذا :

منذ زمان ... لم أكن نظرت في المرآة

لكنني حين ذهبت اليوم للخليج

رأيت في مياهه ... ملامحي التي تغيرت

وحفنة من السنين قد تطايرت

وزورقا بجنب الشط قد تآكلت قوائمه

عجبت كيف مرت الأيام [1]

هـــذا القفز الزمنى هو النص المغيب الذي تركه الشاعر ، غير أن المتلقي في يده استنباط مفـــرداته مـــن خلال لواحقه وسوابقه أي من خـــلال السياق العام ، فإذا ما قرأنا المغيب في النص السابق مباشرة يمكن القول بأنه يتمثل في جهد قضاه الشاعر في العمل داخل بلده أو انفقه في الغربة وهذا الجهد يحمل مشقة ملموسة هي التـــي دفعـــته لاختـــيار هـــذه اللغة الخاصة ؛ كـــالملامح التي تغيرت، وعبارة تآكلت قوادمه ولفظـــة "تطايرت"، ولفظة(حفنة) – وهي لفظ " نكـــرة " أي إنه لا يعرف عدد هذه السنين من كـــثرة ما صادفة من متاعب ، أضف إلي ذلك أن الصـــورة الشـــعرية الجـــيدة التي قرب بها رؤيـــته إلي ذهن المتلقي قد أضافت جديدا في تفسير ما غيب من النص وهي :

وزورقا بجنب الشط قدتآ كلت قوادمه .

---

(١) نفسه : صـــ١٢٣ ويراجع القفز نفسه في صـــ٨٧، ٨٨

فلقـــد شبه هذا الزورق الذي طغت عليه السنين بنفســـه التـــي أهلكهـــا الزمن ، ودلالة ذلك أن الشاعر والزورق قد وقعا تحت تأثير عمل شاق أوصلهما إلي ماهيتهما المقروءة في النـــص[1] وعـــبارة " تآكلـــت قوادمه " تختلف عن تآكلت مقدمته أو أقدامه فالقوادم خاصة بالطير وريش القـــوادم فـــي الجناح هو المسؤول عن توجيه الطائر وارتفاعه وهبوطه وعلامة قوته ، فتآكل القـــوادم له انعكـــاس علـــى ما كان عليه هذا الزورق وما انتهى إليه .

د- التباطؤ . أو القطع الزمني

والقطـــع الزمنـــي يعني تباطؤ الزمن داخل النص الشعري ويأتي عندما يحاول الأديب أن "يقـــوم بعملـــيات اســـتبطان لدخائل شخوصه وإغراق في وصف خواطرها النفسية ولمحاتها

---

(١) يمكن تقسيم النص المغيب في حالات القفز الزمني على هذا المنوال

الذهنـــية ... "[1] ويتمثل في تقنيات زمنية عدة مـــنها: الحلم ، والوصف ، والحوار الداخلي ، والتـــناص . وهذه التقنيات السردية تعمل على تـــباطؤ زمن السرد الشعري في حين أن زمن الحكـــى يزداد قليلا في مساحته الزمنية . وعن الحـــوار الداخلي يقول " صلاح عبد الصبور " في قصيدته "الملك لك " :

أواحدتي ... فكرة طوفت برأسي ذاك المساء

السحيق

أكان يدق صليب الحديد ؟

على رأسه

يوم كان قويا تضج الحياة بشريانه ويفوح

العرق

أو الأرض لم تزدرده إليها ، أكان الحديد عليه

يدق

---

(١) صلاح فضل : أساليب السرد في الرواية العربية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، صـــ٢١

ومن موته انبثقت صحوتي

وأدركت يا فتنتي أننا

كبار على الأرض ، لا تحتها

كهذا الرجل [1]

يقـــيم الراوي حوارًا داخليا مع نفسه ، قطع الزمـــن لـــبرهة من الوقت ثم صار الزمن في وضعه الطبيعي ، والذي دفعه إلي هذا الحوار / حديـــث النفس ،مشهد دفن أخيه الذي كان قويا فـــي شبابه ، وفي عينيه ومضة كبرياء ، وعند الدفـــن ، دق الـــرجال عليه الحديد فلم يستطع الـــتخلص مـــنه أورده عن نفسه ، هذه اللحظة الدامية حركت ذهن الراوي والمتلقي معه ليسأل نفسه سؤال استغراب واستنكار لما يحدث ، فلو كان هذا الرجل قويا تضج الحياة في شريانه ، ويفوح منه العرق أكان يصبر على دق الحديد

---

(١) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ديوان " الناس في بلادي" ،صـــ٦١

علـــى رأســـه ولو رفضته الأرض ، أكان في مقـــدرة هؤلاء الرجال الغلاظ أن يدقوا الحديد علـــى رأسه ، ولا شك أن هذه الأفكار الداخلية غيرت من فكر الراوي إذ أدرك أن الإنسان له قيمته على الأرض فإذا ما نزل تحتها أصبح لا قيمة له كهذا الرجل.

ويقول " أمل دنقل " في قصيدته " يا وجهها":

وأنام

تحملني رؤاك لنجمة قصوي

نترفق الخطو

نحكى فأرشف همسك الرخوا

ويهزني صحوى ... فأفتقدك

لكن بلا جدوى

بلا جدوى ! (١)

---

(١) أمل دنقل : الأعمال الكاملة ديوان " مقتل القمر " ، صـــ٧٠ / ٧١

بقطـــع هـــذا الحلم رؤي الشاعر / الراوي المـــتعددة حـــول محبوبته ووجهها غير أنه في دلالـــته يتـــناص مع هذه الرؤي فهو يعبر عن العلاقة الحميمة بين طرفي القصة التي تعضدها الحكايـــات بيـــنهما والـــناتجة عن الترفق في خطوهمـــا . أي إن الحلـــم وازي في منطوقه الدلالي رؤيه الراوي في الزمن السردي ، لكن طرح الرؤية بأكثر من بعد لم يسفر عن شيء ؛ ولذا قال :

يا وجهها الحلوا

أمطر فإني مجدب السلوى (١)

وفي موضع آخر يسفر الحلم عن قطع زمني فـــي الـــنص ، يقـــول " أمل دنقل " " المزمور الثامن " (شجوية).

لماذا إذا ما تهيأت للنوم يأتي الكمان

---

(١) ديوان " مقتل القمر " : صـــ٧١

فأصغى له أتيا من مكان بعيد

فتصمت همهمة الريح خلف الشبابيك

نبض الوسادة في أنني

تتراجع دقات قلبي

وأرحل في مدن لم أزرها

شوارعها فضة

وبناياتها من خيوط الأشعة

ألقي التي واعدتني على ضفة النهر واقفة

وعلى كتفيها يحط اليمام الغريب

ومن راحتيها يغط الحنان [1]

جاء قطع الزمن في النص برؤية مغايرة لمثيلاتها في زمن السرد الطبيعي ، أي قبل القطع ، فالرؤية الأولي تطرح مشهدين أحدهما؛ مشهد القطار وفيه يحاول الراوي السيطرة على الصوت الناتج من ضجة عجلات القطار

---

(١) ديوان "العهد الآتي" ، مزامير : صـ٣٢٧

العتيق، ورويدا رويدًا يتباعد هذا الصوت ليعلو نداء الكمان، والآخر مشهد الجنود وهم يرددون النشيد الحماسي في المهرجانات ، ولا شك أن المشهدين لا يبتعدان عن أرض الواقع ولذا فهما يثـــيران في نفس الراوي القلق والضيق . ومن ثم تأتي الرؤية الحالمة التي تتضاد وسابقتها في المنتج الدلالي ، إذ يرحل الراوي فيها إلي مدن جديدة شوارعها من فضة ، ومبانيها من خيوط الأشعة فيها يلتقي بمحبوبته وسط اليمام الغريب ودفقات الحنان التي تبثق من راحتيها .

ويقول " صلاح عبد الصبور " في قصيدته " رسالة إلى صديقة":

بالأمس في نومى رأيت الشيخ محي الدين

مجذوب حارتي العجوز

وكان في حياته يعاين الإله

تصوري ، ويجتلي سناه

قال لي " .... ونهر المساء

مسافرين في حديقة الصفاء

يكون ما يكون في مجالس السحر

فظن خيراً لا تسلني عن خبر

ويعقد الوجد اللسان ... من يبح يضل

ومِت مغيظا ... قاطع الطريق ... "

ومات شيخنا العجوز في عام الوباء [1]

نحن أمام نصين متعارضين ، نص السرد الأصلي في القصيدة ، ونص الحلم القاطع له الذي أبطأ تواصله الزمني كالآتي :

النص السردي الأصلي ← النص القاطع للزمن ←

↓ ↓

دلالات تشاؤم وحزن (المقطع الأول) دلالات مغايرة (المقطع الثاني)

← مواصلة الحكي وإنتاج الدلالات الأولي .

---

(١) صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ديوان " الناس في بلادي" ، صـ٧٩، وصـ٨٠ .

(المقطع الثالث).

وهذا يعني أننا أمام نص تتكون بنيته الزمنية من ثلاثة مقاطع ، المقطع الأول ويحتوى علي رسالة من الراوي إلي صديقته يطلب منها الدعاء إلي الله ليخفف عنه الألم والمرض، فقلبه كسير وجسمه علىل ،ونهاره ثرثرة،وليله غريب. ويأتي المقطع الثاني مخبراً فيه بزيارة الشيخ محي الدين مجذوب حارته الذي انتشله مدة الحلم من مأساته إلي دنيا الصفاء الروحي ، غير أنه يرفض طلبه بالقيام معه ويرفض في الوقت نفسه الدواء الذي وصفه لعلته، ليأتي المقطع الثالث والراوي مازال في حالته التي كان عليها في البداية ،حتي أحس بنهايته تقترب منه وذلك علي حد قوله "

أدرت وجهي للحياة ، واغتمضت كي أموت

في هدأة السكوت

قد آن للشعاع أن يغيب [1]

وأحـــيانا يقطع التناص الزمن داخل النص الشعري ، وذلك إذ دخل النص بنصيته اللفظية دون تغـــير فـــيه ،كبيت من الشعر أو آية من القـــرآن الكريم ،أما إذا استعار من النص معناه أو بعـــض عـــباراته وكانـــت في تسلل زمني مـــتداخل مع الترتيب السردي للزمن بحيث لو حـــذف المســـتعار، يحـــدث خلـــل في الزمنية السردية ،فهذا لا يؤدي إلي قطع الزمن فنجد – مـــثلاً- اســـتعارة "أمـــل دنقل "لبيت من أبيات الشـــعر الجاهلي في قصيدته " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة "حيث يقول :

"ما للجمال مشيها وئيداً

أجندلاً يحملن أم حديداً [2]

---

(١) ديوان " الناس في بلادي" : ص ٨١

(٢) أمل دنقل :الأعمال الكاملة ديوان " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " ،ص١٣٠

هذا النص الذي لجأ إليه الشاعر وقف زمن السرد وقطعه فإذا ما حذفناه ،لأعاد السرد مسيرته الزمنية الأولي ،لكنه مع ذلك لم يكن مجانياً في النص الأصلي إذ تلاحم بدلالته مع مكونات البنية ،ليقرب وجهة نظر الشاعر إلي متلقيه .

المستوى الثالث :

- صورة الزمن وقسوته :

لقد طرحت صورة الزمن بكل مراحله في الشعر الحديث، بشكل يدعوا إلي التشاؤم ويثير الحزن والألم في النفس، حيث اتسم الزمن بالكسل والكآبة والشيوخة والمرض حتي تساوت دلالته بدلالة الانكسار والموت ؛ وذلك بفعل التغيرات السياسية والاجتماعية السلبية في معظمها التي انتجها الواقع المحيط بالشاعر ، ومن ثم فقد أثر علي المتكلم في النص فجعله في حالة من الحزن والألم والضيق والقلق

تســـاوى تمامـــاً ما عليه الزمن من حالة سيئة، ولذا فالعلاقة بينهما تتحو إلي السلبية .

تقـــدم "نازك الملائكة"صورة طريفة للزمن تقول فيها :

وأنا أعد الذكريات وأرقب الزمن الكسول
يمشى علي عكاز تين من الكآبة والذهول
يمشى ويحصى ما علي وجهي المقنع بالذبول
والصمت من صور تموت وأنجم بيد الأفول
وأنا وأحلامي وقلبي قصة لو تعلمين
مازلت أحكيها وأصرخ في الدجى :هل ترجعين؟[1]

يشـــكل هـــذا النص وصفا لماهية الزمن ، يـــتكون من جمل وعبارات وتراكيب ودلالات، ولـــذا فهـــو مقطع كتابي " لا سبيل إلي تحديد دلالته إلا بوصفه في علاقة مع المقاطع الكتابية

---

(١) نازك الملائكة :الأعمال الكاملة ،الجزء الثاني ديوان " قرارة الموجة " ،٣٨٨

الأخرى الرابضة في حدوده ..."[1] فقراءة دلالة الزمن في بنية هذا النص لا تكون قراءة وافية متأنية إلا إذا ارتبطت بمفهوم الزمنية في القصيدة كلها ،بل بمفهومها في كل الإنتاج الشعري للشاعرة .

والتعبير عن الزمن في النص يكوّن صورة فنية رائعة قوامها اللغة الشعرية الخاصة بالإضافة إلي التشبيه والمجاز والاستعارة وهذه مقومات الصورة الشعرية عند سيسيل داي لويس الذي يرى أنها" في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات ،إن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة أو أن الصورة يمكن أن تقدم إلينا في عبارة أو جملة غلب عليها الوصف المحض "[2]

---

(١) عبد اللطيف محفوظ " وظيفة الوصف في الرواية ،دار اليسر المغرب ،ط١، ١٩٨٩ ،.ص٢٠

(٢) سيسيل داي لويس :الصورة الشعرية ،ت أحمد نصيف الجنابي ومالك مسري ،وسليمان حسن إبراهيم وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ١٩٨٢م ص٢١

فالزمـــن مـــن وجهة نظر الأنا الساردة ، كســـول ،كأنه رجل كبر في السن ،فمشى علي عكـــاز تين ،ولكنهما يختلفان عما نعرفهما فهما مـــن الكآبة والذهول ،كما أنه يحصى ما علي وجـــه الشـــاعرة من ذبول ، وهو السبب في الصـــمت الـــناتج من فاعليته في تكرار الموت وأفول الأنجم وانحدار الحياة إلي التشاؤم، ولقد اســـتعانت الشـــاعرة علـــي تقديم هذه الصورة الشـــعرية باللغـــة -كما ذكرت سابقا-فاختارت كلمـــات لها مدلول إيحائي خاص كعبارة أرقب عكـــاز تيـــن ،ولفظـــة الكآبـــة، والذهـــول ؛ والذبـــول،كمـــا أنهـــا اعـــتمدت علي عناصر التصوير الشعري كالاستعارة والكناية والتشبيه وذلـــك فـــي قولها الزمن الكسول يمشي علي عكـــاز تيـــن مـــن الكآبة والذهول،فهي -هنا- شخصـــت الزمن فأسبغت عليه صفات الإنسان فجعلـــته كسولاً، ولا يسير إلا علي عكاز تين

لهما سمات معنوية خاصة وتأتي الاستعارة بما فيها التشبيه والتشخيص في قولها "وأرقب الزمن الكسول "لتطرح دلالات القلق والضيق والسأم من الحياة ولا شك أن هذا التشخيص قد قرب ماهية الزمن – من وجهة نظر الشاعرة – إلي المتلقي .

وتصف الأنا الساردة في قصيدة "قالت " لصلاح عبد الصبور الزمن /الأيام بالوحشة، وبأن الليالي تلازمها دائماً الحزن والكآبة ؛ تقول :

أيامي موحشة ،ليالي تؤانسها الآه (١)

ويصف صلاح عبد الصبور "الأيام / الزمن في قصيدته: رسالة إلي سيدة طيبة "علي لسان سارده بالقسوة والجهامة، ويوضح أن صفته هذه قد تركت آثارها علي قلب سارده فجعلته

---

(١) صلاح عبد الصبور :الأعمال الكاملة ديوان " أقول لكم "،ص ١٢٩

قاسياً ،وسلبت منه موهبة الحب،يقول النص معبراً عن هذا :

أشقي ما مر بقلبي أن الأيام الجهمة

جعلته يا سيدتي قلباً جهما

وأنا لا أعرف كيف أحبك

وبأضلاعي هذا القلب (١)

ويقول "أمل دنقل :عن الزمن ،رابطاً دلالاته بالموت:

عرفتها في عامها الخامس والعشرين

والزمن العنين

ينشب في أحشائها أظفاره الملوية

صلت إلي العذراء

طوفت بكل صيدلية

تقلبت بين الرجال الخشنين (٢)

---

(١) ديوان " أحلام الفارس القديم " : ص ٢٢٥

(١) أمل دنقل :الأعمال الكاملة ديوان " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة "،ص ١٦١

يصور الشاعر الزمن في النص بالحيوان الذي يمتلك أظفاراً قوية فيعلق في فريسته حتي يقضى عليها إما بالموت أو المرض،وهذه الصورة الشعرية توحي بفظاعة الزمن وقسوته علي الإنسان والجماد معاً لأنه ربما ترمز المرأة التي يتحدث عنها الشاعر إلي الأرض ويكون فعل الزمن موجها عن طريق الرمز إلي الأرض والاحتمالان يرجحهما الباحث ،فإن كان المقطع الأول يقول بأن الفعل الزمني واقع علي البشر فالمقطع الثاني يشير إلي عكس ذلك إذ يقول الشاعر .

وحين ضاجعت أباها ليلة لرعد
تفجرت بالخصب والوعد
واختلجت في طينها بشارة التكوين[1]

---

(١) ديوان " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " :ص ١٦١

تتضمن هذه القطعة إشارة إلى أسطورة قديمة ، مصرية أصلاً ، عن بدء الخلق ، وفيها أن السماء ولدت الأرض (وفي أساطير الإغريق ما يقارب هذا المعنى) فإذا ضاجعت السماء الأرض حبلت بالنبات.

يقول " أحمد عبد المعطي حجازي "في قصيدته "طللية "

يا صاحبـــــي قـــفا !

فالـــــشمس قد رجعت ،

ولـــــم تـــعد بعـــد

كل المقاهي انتظار ساء ما فعلت

بنا السنون التي تمضي

ونحن على موائد في الزوايا

ضارعين إلي شمس تخللت البللور واهنة

ولا مست جلدنا المعتل وانحسرت

عنـــا إلـــي جـــارنـــــا

فما نعمنا ولم ينعم بها الجار (١)

يطلـــب الشاعر - علي عادة الشعراء الجاهليـــن -مـــن صاحبيه الوقوف معه لتأمل بعـــض الحقائق الكونية التي أدهشته ،إذ جاءت

---

(١) أحمد عبد المعطي حجازي ،أشجار الأسمنت ،السابق ،ص ٢٦

الشمس وذهبت ،ولكنها لم تترك وعداً بالعودة .

الشـــمس –هـــنا –رمز لرحلة العمر أو الزمن الـــذي انقضـــي وليس في مقدرة أحد أن يجعله يعود ويصبح ذلك من ناحية أخري نذيرا بقرب (المـــوت)،كمـــا أن الزمـــن ادخل الإنسان في مـــرحلة تتسم بالانتظار والترقب فجعلته جليس المقاهـــي انـــتظاراً لنهايته، ورغم ذلك فعندما تطـــل الشـــمس علـــيه يتضرع إليها ،أن تبقي لتضـــميد علله،غير أنها تذهب وتترك الحسرة علي وجهه .هذا الطرح الشعري للزمن جعل منه مصدراً لكل هموم الإنسان ،بل هو المصدر الوحـــيد للمـــوت ومن ثم اتضحت العلاقة بينه وبيـــن الإنســـان ، ومـــما أعطي لهذه الصورة الشعرية شعريتها ، وقربها إلي ذهن المتلقي ؛ الرمـــز حيث رمز بالشمس إلي عمر الإنسان لأنها تأتي وتغيب، ولفظة المقهى التي استعملت بشـــكل جـــيد لاستقراء دلالة التلاشي الزمني

والفعل المضارع تمضي، ولفظة "الزوايا "التي تدل علي الانحصار والتقوقع، والفعل "انحسر" يؤكد هذه الدلالة نفسها.

وباستقراء الأمثلة السابقة التي جسدت صورة الزمن اتضح أن الشعراء يصورونه في شكل موحش موغل في إنتاج دلالات التشاؤم ولذا كان أثره المباشر وغير المباشر علي الإنسان وغيره من المخلوقات في الكون سيئا وعلي الرغم من ذلك فليس ممكنا أن يعيش الإنسان بدون الزمن لأنه جزء من حياته،بل هو كل حياته وتلك هي فلسفة الزمن في الشعر العربي المعاصر ومن ثم يمكن القول بأن" الزمن في النص الأدبي جزء من فسلفة الذات الحياتية؛ لأن الزمن المعيش لا يمكن الاستغناء عنه في فض مغاليق الشخصية، وكلما أمعن الكاتب في واقعه ،كلما تكشفت له جوانب فلسفة الزمن،وهنا يصبح الزمن ذا مغزى إيجابي أو دلالي في حياة الشخصية ، ويتضح هذا المغزي في العديد من الأعمال الأدبية المعاصرة ..."(١)

---

(١) مراد عبد الرحمن مبروك :بناء الزمن في الرواية المعاصرة ص ١٥٨

ثبت المصادر والمراجع

أولا –المصادر

١- **أحمد عبد المعطي حجزى** : أشجار الأسمنت ،الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠١

٢- **أمل دنقل** : الأعمال الكاملة،الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨

٣- **حامد طاهر**: عاشق القاهرة ١٩٩٢م

٤- **صلاح عبد الصبور** : الأعمال الشعرية الكاملة،دار العودة بيروت، ١٩٨٦

٥- **محمد إبراهيم أبو سنة**: تأملات في المدن الحجرية، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠١

٦- **نازك الملائكة** : المجلد الأول، المجلد الثاني } دار العودة بيروت ١٩٨٦

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة

١-**إبراهيم عبد الرحمن:** اتجاهات النقد في الأدب العربي الحديث ، دراسات تطبيقية ،مكتبة الشباب،١٩٩٣م

٢- **تودورف :** الشعرية ،ت شكرى المبخوت، ورجاء بن سلامة،دار توبقال للنشر،المغرب ،١٩٨٧م

٣- **جيرار جنيت** :خطاب الحكاية ،بحث في المنهج ت محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدي، وعمر مسلمي،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٧

٤- **سيسيل داى لويس:**الصورة الشعرية ت أحمد نصيف الخبالي ،ومالك ميري، وسليمان حسن إبراهيم،

وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد
١٩٨٢

٥- **صلاح صالح** : قضايا المكان الروائي،دار شرقيات القاهرة، ط١ ،١٩٩٧

٦- **صلاح عبد الصبور**:حياتي في الشعر، ط١

٧- **صـــلاح فضل**: أساليب السرد في الرواية العربـــية الهيـــئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ١٩٩٥م

٨- **قاســـم البرســـيم**: منهج النقد الصوتي في تحلـــيل الخطـــاب الشـــعري ، الآفـــاق والـــنظرية وواقعـــية التطبيق ،ط٢، ٢٠٠٠

٩-**قاســـم المومني**: في قراءة النص،المؤسسة العربـــية للدارســـات والنشر ، بيروت ، ط١ ١٩٩٩

١٠-عبد اللطيف محفوظ: وظيفة الوصف في الرواية،دار اليسر، المغرب،ط ١ ١٩٨٩

١١- عبد الله إبراهيم :المتخيل السردي ، المركز الثقافي العربي بيروت، ط١، ١٩٩٠م

١٢- على الغيضاوى : الإحساس بالزمان في الشعر العربي من الأصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، جامعة منوبة ، منشورات كلية الآداب ، ٢٠٠١

١٣- غاستون باشلار : جدلية الزمن ت خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٢.

١٤- **محمـــد الفـــاس** : الرؤية الابداعية في شعر صلاح عبد الصبور الهيئة العامة للكتاب،١٩٨٦

١٥- **محمـــد فتوح أحمد**:الحداثة الشعرية من مـــنظور رمـــزي دار الـــثقافة العربية، ١٩٨٩ .

١٦- **مراد عبد الرحمن مبروك**: بناء الزمن في الـــرواية المعاصـــرة ، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م